ديوان المجاهد

سليمان بن عبد الله البارونى

الجزء الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا الجزء الثاني من الديوان ، الجزء الذي كان بعد طبع الجزء الاول بعد أن رأينا ضمه في مجلد واحد ، أرجو أن أكون قد حققت بعض الواجب بجمع شتات ما وجد من أشعاره أو خواطره .

في هذا الجزء نجد الباروني المجاهد ، المهاجر ، الآمل الآيس في نفس الوقت إلا من رحمة ربه ، المريض ، الصبور ، المعتز بدينه وأمته رغم تجهمات الدهر وأهله إلى آخر قطرة من دمه . ونحن معه الآن إلى آخر قصيدة له وجدت وهي التي قالها وكتبها بخطه في مدينة صحار التاريخية فكأنه يهمس للملائكة الأبرار ويقول :

(مهلاً ، إنه بيت الله ، لأتمه بالرغم عن المعاندين وأحضر صلاة الجماعة فيه ولو مرة) .

وأعتقد أنه فعل ولكن بغير احتفال وتصفيق إلا من ضميره ، كما حدث عند إتمامه المدرسة الكبيرة في « سمائل » وانتظام الدروس فيها لحين .

نعم لنصغِ إليه أو لنسر معه ثم لكل قارىء حكمه على ما يقرأه .

طرابلس – في ١٥ شعبان سنة ١٣٩٢هـ
الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٢م

(بنت الوطن)
زعيمة البارونية

وهذه القصيدة الثانية من الكراسة التي ينسبها إلى أيام السجن في قلعة (السرايا الحمراء) بطرابلس .

(وقلت إذ ذاك أيضاً نخمساً) :

الله أكبر من دهر لنا مدد ولا لرد القضا مال ولا ولد
وإذ تيقنت هذا وارتقى السند
(لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وبت أشكو إلى مولاي ما أجد)
أشكوه والدمع يروي كل نابتة والقلب في وجل من كل خائبة
لكن تذكرت فعلي بعض واجبة
(فقلت يا أملي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمد)
يا من أتى يوسف الرؤيا وأحكمها[1] حتى تخلص من سجن ومظلمها
وفاز بالأهل والرايات تلثمها
(أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ما لي على حملها صبر ولا جلد)
بلى تجلدت والأقوام ناظرة وقد تصبرت والحكام كاشرة
أرجو التخلص والآيات ظاهرة

---

(١) هذا الشطر في الأصل (يا من به يوسف الأحلام يحكمها) ثم غيّره بقلم الرصاص كما نقلته أعلاه أول القصيدة .

(وقد مددت يدي بالذل صاغرة إليك يا خير من مدت إليه يد)

وان تكن باقتراف السوء عائبة حتى غدت في دياجي السجن جائبة

مغلولة قد أتتك الآن آئبـــة

(فلا تردنها يا رب خائبـة فبحر جودك يروي كل من يرد)

قد قلت في محكم التنزيل آمرنا أدعو فها نحن ذا نشكوك قاهرنا

ومن بداء عناء السجن باشرنا

أنت العليم بمن بالمكر جاهرنا متى يفارقه الأهلون والولد [1]

متى يصارحه الاقبال وهو على [2] رمح من الفقر لا يعزى إلى العقلا

يحيى مهانـاً فقيد العين معتقلا

متى إلهي عنه تقطع السبلا متى أرى جسمه المحموم يرتعد

متى يرى عند ذاك الباب مرتدياً سربال ذل بذاك القوم مقتديا

يمد كف احتيـــاج كان معتديا

متى أرى وأنا قد صرت مهتديا هذا الخبيث بذاك السجن يضطهد

---

(١) ترك وضع القوس على الأبيات الأولى فجاريته .

(٢) أصل الشطر (متى يفارقه الإقبال وهو على) ثم غيّر كلمة يفارقه إلى (يصارحه) التي نقلتها .

قد سامني علناً سوء العذاب وقد طغى ولم يرع حق الله حين حسد

ولم يبال بأهل الفضل حين حقد

وان على منبع الحق المبين ورد بلى يرى أن تعذيبي له سنـــد

يراه دنيا على الجهل المركب لم يخف ملاماً ولو في طوقه لظلم

ولكن يد الله أعلى لا زعيم جنم

منه المقدر لا ممن طغى وظلم إذ ما له من لظى في الحشر منتقد

لم يال جهداً على التلبيس مرتكبا كل التلون للأعوان منتدبا

يبدي افتراء وتمويهاً يرى عجبا

ولم أزل في دفاع الافك منتسبا إليك يا رب اطفي كل ما يقد

ظن الاحاطة بالأحوال حين حسب

فنم بدا وجـــد السعي ثم كتب

جهلاً فصرح بالدعوى بدون سبب

أدلة مثل نسج العنكبوت نصب تباً لجمع على أعلامهم حقدوا

رام الظهور اعتلاء والرقيب يرى ما يصنع الخائن المخذول حين سرى

فلم يمكنه من فعل يرى ضررا

شلت يدا معتد بالمهلكات جرى عليك يا رب في الحالين اعتمد

•

ومن كراسة من ورق أصفر بدون تدبيس (لأنها من صنعه كما هي عادته فكان بينه وبين هذا الصنف البسيط من الورق واللون صداقة) أنقل ما لم أجده في ديوانه ، وتاريخ هذه الكراسة كما كتبه بنفسه هكذا :

حمداً وصلاة وسلاماً

قلت سنة ١٣١٩ هـ وأنا محروس [١] داخل القلعة بطرابلس بموجب إرادة سنية مادحاً حافظ باشا والي الولاية وهو الذي جلبني بقوة عسكرية فوق (٢٠٠) نفر ، الخ [٢] .

•

وقلت قبل صدور العفو بأيام خمساً قصيدة في المديح توسلاً به عليه السلام :

أقول لما حدونا النجب بالجدل نؤم روضة أس القول والعمل

ولاح من طيبة الفيحا شفا عللي

(يا نفس نلت المنى فاستبشري وسلي

هذا الحبيب وهـــذا سيد الرسل)

هذا الذي فاقت ... [٣] مخلوق رتبته وشرفت عنصر الإنسان طلعته

وكم رمت في بحار الشوق غرّته

---

(١) محروس : موقوف ، سجين .

(٢) يقصد قصيدته التي مطلعها (الروض باكرها الغمام وهزها الخ) وهي مدروجة في ديوانه – الجزء الأول .

(٣) أصل البيت : هذا الذي علت الموجود رتبته ، ثم شطب بقلم الرصاص وكتب : فاقت ، و – مخلوق – فقط . أما في الشطر الثاني من البيت فلم يشطب غير – الإسلام – فكتب بدلها : الإنسان .

(هذا الذي ملأت قلبي محبته هذا الذي سهرت من أجله مقلي)

هذا الذي [١] قد تهدينا بمرشده وطالما الليل أحيينا لمولده

هذا الذي كنت في سجني أهش به [٢]

(هذا الذي كنت أهواه وفزت به يا ترحتي انفصلي يا فرحتي اتصلي)

هذا الذي حزب الألباب فابتدروا لذا ترى الركب في الأسفار يبتكر [٣]

هذا الذي كل من آواه ينتصر

(هذا الذي الخلق من أشواقه هجروا للأهل والصحب والأبناء والطلل)

هذا الذي من ظلام الشرك انقذنا ومن ملاطفة الأصنام طهرنا

هذا الذي صار في الدارين مسندنا

(هذا الذي للهدى والدين أرشدنا لملة شرعها يسمو على الملل)

هذا الذي أنزلت وحياً له سور خوارق أفحمت قوماً به سخروا

هذا الذي تجتنى من بحره الدرر

---

(١) أصل البيت :

هذا الذي قد تروينا بمشربه وطالما الدر رصعنا بمولده

وبالتشطيب أصبح كما نقلته أعلاه .

(٢) أصل البيت : هذا الذي كنت في الذكرى أهش به . ثم شطب وكتب : سجني وخطبي . فوضعت أنا : سجني .

(٣) لاحظ بقوله : في مقام الحشر ينتظر .

(هذا الذي انشق إكراماً له قمر لما أشار له في محفل حفـــل)

هذا الذي بعلاه الأنبيا صدعت هذا الذي صخرة من لمسه صرعت

هذا الذي كم شفى من علة طبعت

(هذا الذي رد عيناً بعدما قلعت وريقه قد شفى عين الإمام علي)

هذا الذي خلفه لا تختفي الصور وما له فضلة حاشاه تقتـذر

هـــذا الذي لم يشاهد ظله بشر

(هذا الذي ان مشى في الترب لا أثر يرى له ويرى في الصخر والجبل)

هذا الذي زفت البشرى بطلعته وارتج إيوان كسرى عند مبعثه

ونار فارس أطفاهـــا بدعوته

(هذا الذي حن جذع عند فرقته له وأنّ أنـــين الواله الثكل)

هذا الذي جاءت الرهبان كافة أوصافه وهي في الأحشاء مادحة

غاضت بحيرة ساوه وهي طافحة

(هذا الذي جاء بيراً وهي مالحة ومج فيها فعاد المـاء كالعسل)

هذا الذي صاع بر في وقائعـــه أحيى جيوشاً تغدوا في مراتعه

والشاة من عجف درت لتابعـه

(هذا الذي فار ماء من أصابعه مثل الزلال حكى الأنهار في السيل)

هذا الذي إذ دعا وافاهم المطر وإذ سرى صفت الاملاك وانتظروا

فامّ بالرسل واستعلى وما حضروا

(هذا الذي إن دعا جاءت له شجر تجر أصلا لها سعياً على عجل)

هذا الذي نال حظاً من سماحته إذ يستجير غزال في فصاحتـه

والطير آمنة حلت بساحتـــه

(هذا الذي سبح الحصبا براحته والضب كلمه جهراً مع الجمـل)

هذا الذي سبع ضار له اعتذرا نطقاً وولى خضوعاً والاثان جرا

والذيب كلمه جهراً بدون مرا

(هذا الذي شد من جوع به حجرا أكرم بمولى غدا بالزهد مشتمل)

هذا الذي أمه جبريل في أدب وواصل الوحي حتى جاء بالعجب

هذا الذي دائماً بالصوم في نصب

(هذا الذي راودته الشم من ذهب فردها وإلى الدنيا فلم يمـــل)

هذا الذي في مضيق القبر مؤنسنا ومن أليم العنا في الحشر نافعنا

هذا الذي تحت ظل الله جامعنا

(هذا الذي في مقام العرض شافعنا إذا استغثنا به في شدة الوجل)

هـذا الذي دار كل حول محوره ما بين ظاهره نحيـا ومضمره

هذا الذي كل ملك تحت منظره

(هذا الذي روضة ما بين منبره وقبره في رياض الخلد لم يزل)

هذا الذي قومه لم يلق مسغبة مذ جاء بل خولوا فضلاً ومقربة

يا حائزاً عن جميع الخلق منقبة

(يا سيد الخلق يا من حاز مرتبة عليا وقد جل عن شبه وعن مثل)

يا صفوة الأصفيا يا أكرم الكرما يا عمدة الأتقيا يا أعظم العظما

يا من له أذعن الجهـــال والحكما

(يا درة الأنبيا يا روضة العلما يا ملجأ الغربا يا سيد الرسل)

يا من تنادمه الأملاك وهو فتى يا من بلطف له جبريل قال متى

فقـــال لبيك خِلّي حسبما ثبتا

(العبد عبد الرحمن الجليل أتى إليك وهو من الأوزار في خجل)

يرجو بقلب صفي حفظ ملتـــه بلى ويرجو خلاصاً من مذلته

وقد أتى بمديـــح لا لقلته

(يرجو بمدحته غفران زلتـــه مع الرضا وحلول الخلد والحلل)

فانعم وقل نلت حظاً من حقائقنا فاقرب وغص في بحار من دقائقنا

سل تعط تلك بلا شك خوارقنـا

(صلى عليك إله العرش خالقنا في الصبح والليل والابكار والأصل)

ما رن حاد إلى تلك الرياض سرى وما نسيم الصبا هبت لنا سحرا

وما تلألأ بدر والقضـــاء جرى

(واخصص أبا بكر ثم الحق به عمرا كذاك عثمان ذو النورين ثم علي)

(والآل والصحب والأتباع أجمعهم أولي النهى والفخار السادة النجل)

كرر صلاة يراها الدين واجبـة عنا ضمـــيراً ونطقاً لا ملاعبة

بل زد وردد إذا ما رمت صالحة

(والسابقين إلى الإسلام قاطبـة والتابعـــين بإحسان وكل ولي)

واختم فقد تم حدوي للمثال بلا شدود لفظ ولا خلف لما وصلا

وصلّ ما ابن البروني قال متصلا

(يا رب صل على المختـار ثم على صحب جحاجحة ما قلت يا رسلي)

وهذه قصيدة من قصائده في عيد الجلوس ، عيد جلوس الخليفة السلطان عبد الحميد والوالد رحمه الله في أوائل أدوار شبابه ، إنها هي أيضاً لا تزال جيدة رغم الاصفرار ، بخطه ، حين كان يكتب متأثراً بالطريقة المغربية، وسمعته مرة يقول: (للزمن تأثيره على تمرينات الإنسان في كثير من الأمور،مثلاً أنا ، لم أذكر اني حاولت إرغام يدي لتكتب نقطة الفاء من فوق وأنا أكتبها مثلهم – يقصد المغاربة – وأول دراسة له في خارج بلاده كانت في الجامع الأعظم بتونس – ولم أنتبه إلا وأنا أكتبها من فوق كما هو حالي الآن ، فتعودوا تحسين ما بكم بدون تكلف) فهذه القصيدة تؤرخ لنا كتابته لنقطة الفاء من تحتها، فكم كانت سنه يا ترى ؟؟ وهي الوحيدة تقريباً التي لم تحمل التاريخ ، فطبعاً وقتها كان طالباً للعلم وليس بمجاهد يخشى على ضياع الحقيقة المجيدة التي تخطها النفوس المؤمنة بحرمة الأوطان وقدسية الإيمان ، وهذه هي :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وآله وسلم .

قم يا نديم بنا فالصبح قـــد بهرا ... وكوكب المجد عن ثغر الصفا سفرا
واغنم مسرة أيام الوصال فقـــد ... آن الوفاء بوعـــد كان مدّخرا
جاد الزمان بوصل طالما بخلت ... به الشهور فما أهنـــاه منتظرا
إذ هبّ في مجمع البحرين ريح صبا ... في جنة المشرق الزهراء قد عبرا
ما ذاع عنبرها حتى استبان لنـا ... أن الجلوس له نجم وقـــد ظهرا

ذاك الجلوس الذي في وصف رونقه ... صيغت قلائـد در تشرح النظرا
جلوس قطب رحى الإسلام قاطبة ... على مدبج عرش يخجـــل القمرا
(عبدالحميد) أمير المؤمنين بـلى ... خليفة المصطفى والمرتضى عمرا
وكيف لا وهو بالإجمـاع كوكبنا ... وسيف ملتنا في حفظهـــا سهرا
لعيده الأنور العـــلي أشرق في ... أفق السعـــادة نور العز واشتهرا
وأصبح الهيك السفلي مغتبطـــاً ... في حلة أطربت شمس الضحى فجرا
أضحى الورى بالتهاني ظاهر وبه ... كل يعـــانق كلاً باسماً نضرا
وألسن المدح بالتمجيد صادحـة ... وللسرور كؤوس تشرح الفكـرا
تدار في أيمـــا ناد وفي عجـب ... ان المحرم للصهبـا بهـــا سكرا
يا حبـــذا يوم عز شامخ بسطت ... فيه الأكف وعم الأنس وانتشرا
يوم بليلته في العصر مـا طلعت ... أقمـاره في زمـــان سالف غبرا
يوم تجلى به بدر الزمـــان على ... قصر الإمارة وانقادت له الأمرا
يوم تعانقت الأضداد فيـــه كما ... بدت خوارق كادت تعجز البشرا
فكم جمـــاد أتى نطقاً وكم حجر ... في يبسه بعيون جـــاد فانفجرا
بلى وكم ساكن طبعاً تحرك عن ... تأثير لفظ سرور مهدياً خـــبرا
وكم وكم من عجيب منشط عجزت ... عن فهمه العقلا في ذا الجلوس جرا
أحيا شذاً أعرق الأرواح فانبعثت ... أقـــلام كل أديب تنظم الدررا

وقام يشدو على الأغصان ورق هنا والعندليب وزهر البان قد سحرا
وسبح الرعد من سحب القلاع ضحى
والبرق من لجج البحرين قـــد بهرا
ويمم القوم أفواجـــاً معاقله في كل قطر من الآفاق معتبرا
من بين أمواج جند سال منتظماً وللمسيقـاء طرق تذهب الكدرا
كل يقـــدم تبريكاً وتهنئـــة مع الخضوع من الأدنا إلى الوزرا
أعاده الله بالفتـــح العزيز على هذا الخليفة ما يم الدعـــا زخرا
هذا وإنا على بعد المكان لنـــا أقوى ارتباط بعرش عدله شهرا
لأجل ذا نخلص الدعا ونرفع للأ عتاب تهنئة تحكي الذي حضرا
أميرنا آل عثمان بـــك اعتصموا والدين لولاك مـا نحيي له أثرا
فانهض خليفتنـا حييت كيما ترى أسداً ضراغم فرسان الوغى نصرا
تصطف خيلاً ورجلاً خاضعين لما يلقيه من نصحكم لجمعنـا الأمرا
انا أناس صبغنـــا من جبلتنـا حب الخليفة حب لن يرى كدرا
أموالنـــا وبنونا طوع بغيتكم والنفس من رقها لا تبتغي وطرا
ما في البسيطة من شرق لمغربها إلى الجنوب سوى من فيكم سكرا
بسبر غور بحار العـــالمين ترى غرس المحبة والإخلاص قد عمرا
فـدم سعيداً مهنى بالجلوس على عرش الخلافة محفوظاً ومنتصرا

ما رن حاد وما أعلامكم خفقت وما نصرتم وما جيش العدا قهرا
وما على المصطفى صلى الورى وعلى من انتهى الحمد فيهم والنسيم سرا

•

هذا هو ولاء الباروني للاسلام وخلافته قبل أن يلتفت لعرقلته أذناب الحكم قبل الخلافة وهو الشاب الجريء ، وأتمنى من الله أن يجمعها بما قاله وكتبه دفاعاً عن الخلافة عندما هدموها فضحى بذلك بكل ما لديه من راحة وأسبابهـا ، وخرج من الساحة مجحوداً حتى حقه في التقدير ولكنه بإيمان يملأ قلبه الكبير أقول أن يجمعها الكتاب الثالث من (صفحات خالدة من الجهاد) إن شاء الله .

وهذه نبذة جمعت بعض خواطره والأمثال الشعرية في تمجيد محامد العـــلم والأخلاق الحسنة :

بسم الله الرحمن الرحيم وبـــه نستعين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال صلى الله عليه وسلم: (الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك) .

وإني لا أزيدكم الآن في الحث على العلم وبيان فضل العلم ، كلكم أيها الأفاضل قرأ ، وعلم ما هي نتيجة العلم ، وذم الجهل عن أمور ثلاث منهـــا يستمد كل مرشد : آية كريمـــة وحديث شريف وأثر جليل ، أما الآية فقوله عز وجل: ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ فإتيانه تعـالى بصيغة الاستفهام الذي لا يكون بالنسبة إلينا إلا عن جهل وهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء دليل على ما بين العالم والجاهل من الفرق العظيم .

وأما الحديث فقوله عليه السلام: (اطلبوا العلم ولو بالصين) وقوله: (الجاهل كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح) .

وأما الأثر ففيه من النثر والنظم ما لا يحصر ، من ذلك قولهم: (كفى العلم

شرفاً أن كل أحد يدعيه وكفى الجهل ذماً أن كل أحد يبرأ منه) وقولهم :

فإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

ولقد أجاد الوالد أثابه الله على نصيحته حيث قال [١] :

تعلم بني العـــلم واسلك سبيله وغص في بحاره تفز بالجواهر

فبالعلم يكسى المرء ثوب سعادة وبالعلم يعلو المرء فوق المنابر

والمدار في ذلك كله أيها النجباء على الجد والاجتهاد وهجر الملل واغتنـام فرصة الشباب — لقولهم من جدّ وجد وعلى ذلك جاء قول الوالد أيضاً :

ألا فاغتنمها يا سليمان فرصـــة فعمر الفتى كضيف ليل مسافر

وعمر فراغاً قبل شغلك وابتدر شبابك قبل الحادثات البواتر

ترانا نعد الوقت يوماً وليلة وننظر ما يأتي لنا من أخابر

أهل حزت علماً واستفدت فوائداً أم انت خلي الكف واهي البوادر

لعمري لئن ضيعت وقتك باطلاً لكنت على حد من العمر حائر

ويعجبني مما قيل في مثل هذا المقام قول القائل رضي الله عنه :

سما من سما بالجد والعزم والصبر وسهر الليالي والسرى والتهجد

على أنه لا يجدي العلم نفعاً ما لم تتعاونوا في حب الوطن والمصالح العمومية

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة المرحوم جدنا عندما أرسله لطلب العلم بالجامع الأعظم ، ومما يؤسف له أن هذه الورقة القديمة لا تحمل تاريخاً .

الخ فقد ورد[1]: وما لم تتركوا المذاهب رئاء ، هـذا وليس المراد بالعلم في كل خصوص علم التوحيد والفقه بل المراد سائر الفنون لمن قدر عليها وربما دخل في ذلك اللغات أيضاً لأنه ورد أن من تعلم لغة قوم أمن مكرهم وهي من أهم وسائل التقدم والنصر في هذا العصر .

ولذلك كان يحيى بن خالد البرمكي يحث ولده على التفنن ويقول له: يا بني عليك بكل نوع من العلم فإن المرء عدو ما جهل وأنا أكره أن تكون عدواً لشيء من العلم وأنشدوا في هذا المعنى :

تفنن وخذ من كل علم فإنمـــا يفوق امرؤ في كل فن له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل بـــه وبعلم أنت تتقنه سلم

وكفى حجة في ذلك اشتغال الخلفاء واعتناؤهم بترجمة الكتب اليونانية على ما فيها من غث وسمين وقد قال الوالد وهو في الأزهريين القدماء[2] وجرياً على

---

(١) وهذا متمم لما كتب بالحبر فملأ به فراغ الورقة بقلم الرصاص (جرياً على هذا الرأي : تفنن بني في العلوم وكن لها مدى العمر الفاً كالنديم المسامر) وبهـــذا الإخلاص للعلم نفسه كانت حكايات أمر تعليمنا رغم ظروفه القاسية وجعلته قاسياً على ابنه الذي نشأ شعلة من الذكاء ، فـكان أتون الغربة لأجـــل العلم نصيبه الأكبر .

(٢) الحق هذا البيت في جانب من الورقة أيضاً بنفس قلم الحبر ، والورقة كما قلت بدون تاريخ ولكن أسلوبها وسياق الكلام يحدد زمانها وهو أيام دراسته في مصر ، حيث كان يحضر الحفلات والاجتماعات الأدبية والندوات ، ويشترك في الخطابة وإلقاء القصائد ، ولكن القصيدة لم يكتبها مع ما كتب أو لعـــل الورقة ضاعت أو اختلطت بين الأوراق ولم أجدها حتى الآن ، وعلى كل حال =

هذا الرأي :

تفنن بني في العلوم وكن لها مدى العمر إلفاً كالنديم المسامر

نعم يجب الاعتناء بعلم الدين قبل كل شيء ليكون المرء على بصيرة من أمره لقوله تعالى ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ولقوله عليه السلام: (التفقه في الدين حق على كل مسلم ألا تعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالاً) أو كما قال .

نقف عند هذا الحد لضيق المقام وأقول ها أنا ذا واقف بالنيابة عن نفسي وعمن كان على رأيي من أرباب الغيرة والأدب من هذه الشبيبة مؤدياً واجب الشكر لهذا الـكامل صاحب المدرسة القائم بأعمال تخلد له الذكر في هذا القطر فإن النبي عليه السلام قال : (من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه وإن لم تقدروا فادعوا له) ، وعلى رأي الشاعر القائل :

لا خيـل عندك تهديهـا ولا مـــال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحـال

نقنع بهذه القصيدة وإن تكن مغربية ربما تخالف أذواق المصريين السليمة

= ذكره الأسلوب المغربي الخ يثبت أنهـــا تعود للأدوار الأولى التي عاشها في مصر ، أو لعل إحدى قصائده الموجودة في ديوانه فإحداهما في احتفال (المدرسة التحضيرية) وناظرها السيد أفندي رئيس جمعية الشبيبة المصرية ، والثانية يوم احتفالهم بمدرسة مصطفى باشا كامل ثم كما يقول في الديوان (حـال دون ذلك ما تقرر من قصر الخطابة على حضرة حافظ أفندي الشاعر الكبير بمصر) ومطلع هذه القصيدة :

طابت صفاتـــك مصطفى فتهللت
بك مصر وازدانت بحزب حافل . . الخ

والزعيم مصطفى كامل ممن لم يتغير فيهم رأيه قطعاً وكان يشيد بنبوغـــه وإخلاصه كلما تحدث عنه رحمها الله .

العالية فالمقصود إظهار ما تكنه البواطن إلى عالم الظهور ومـــا جاء على أصله لا يسأل عنـــه والعذر عند كرام الناس مقبول ، ولا تعدوني مثال الغرب فتهضموا حقه وما أنا إلا ممن لم ينالوا مع أهل الفضل والأدب هناك نصيباً [1] فسامحوا ...

---

(١) انه توقف عند كلمة أقرب شيء إلى كلمة (فسامحوا) لنفاد الورقة ، فهل كان يدري بأنها ستكتب في يوم ما ناقصة ؟؟؟ سبحان الله .

هنا رسالة الشيخ أحمد الشنقيطي وقصيدة من قصائده ، لبقاء القصيدتين في حالة جيدة من حيث الورق والكتابة بالحبر سأعمـل على تصويرها إن شاء الله ، وهي بتاريخها وملاحظة المرحوم وتاريخ وصولها إليه .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

حضرة الأجل الشيخ سيدي سليمان الباروني عز نصره وقوي فخره آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن سألتم عنا فنحن سالمون وعلى الأدعية الصالحة لكم مواظبون نأملوا من إحسانكم أن تذكرونا وتزودونا من دعائكم وقد أنشأنا هذه الأبيات فنرجوكم أن تقبلوها قبولاً حسناً والسلام على جملة الأنجال والأجناد والأعوان والأنصار .

في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٣٠

محبكم غاية ومريدكم نهاية

أحمد الشنقيطي

. . .

ملاحظة الباروني بقلم الرصاص يوم وصولها ويوم نقلها لتفيد التاريخ الذي أعجزه الدهر عن تدوينه ، وطبعاً الأستاذ أمين سعيد لم يأخـــذ من الباروني شيئاً يذكر لظروف ذلك الوقت .

. . .

قصيدة الشنقيطي في الاستقلال ١ ش ٢٨

نقلت إلى أمين ٨ شوال ٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

تضاهي بيعة الرضوان حقاً مبايعة ابن عبـد الله باد[1]
(لغة تركية)

سليمان المؤيـــد بالفتوح وبالنصر القريب على الأعاد

أصبتم في فراستكم جميعـــاً ونلتم ما يرام من الرشاد

أليس بأعرف العلمـــاء حكماً وأكرم في العطا من كل ناد

له فضـــل على العرب الحسان ومجـــد في الاباضيين باد

وحزم بالغ لذرى المعـــالي وعزم لا يصـد عن المراد

وأنشاه على خلق عظيم وأكرمه به رب العباد

فانبت في جميـــع الناس طراً محبته لتثمر في الفؤاد

---

(١) ملاحظة بخط كخطه .

ودعوته ستنشر في البراري ويملكهـــا إلى أقصا السواد

فيا عصبية الإسلام صبراً إلى دفع العدو من البـــلاد

فإن كانت بـــلادكم استقلت وأملهـــا بليث ذوو العناد

فلم تبق الثغور بلا رباط ولم تبق الجيوش بغـير زاد

وفيكم عبقري لا يضاهى يقلدكم بأرمـاح حداد

وأنتم أمة الإسلام شرعـــاً أشداء على أهل الفساد

وما دمتم كذلك لن تزالوا تصانوا بالوفاق والاتحاد

●

وهذه القصيدة الثانية بنفس الخط على مـا أرى ولكن باتقان وبألوان متناسقة جداً ، وهي :

يا الفخامـة يال العز والسؤدد تمسكوا كلكم من دينكم بالعرى

مالي رأيت العدو طال مسكنه في داركم واستمد طمعه في القرى

وكيف لا تحملوا حمل الليوث على من رام حل الحريم وقت ما قدرا

بقوة فاركبوا الجياد عوناً على دفع العدو فربكم بهـــا أمرا

وجاهدوا في سبيل الله لا تهجعوا وجددوا صبركم قد فاز من صبرا

وثبتوا في الهيجاء أقدامكم سنة تزل أقدام ضدكم من غير امترا

وائتلفوا لا تنازعوا ولا تفشلوا وامتثلوا أمر من ساد ولو مشترا

وفي ابتغاء عدوكم فلا تهنوا ... إن تألموا فانظروا ألمهم أكثرا
من فاز منكم بإحدى الحسنيين نجا ... إما غنيمة أو حور العيون يرا
فهذه أعين الإسلام شاخصة ... كذاك آذانهم تكتسب الخبرا
على الجرائد كل يوم قد زاحموا ... فمن رأى نصركم يبيت مستبشرا
فالخود ذات الحياء قد برزن لها ... وان سمعن بنصرة هجرن الكرا
كذا البنات سلبن حليها والحلى ... إعانة للمجاهدين والخمرا
إياك إياك يا بقيـــة الله لا ... تصالحن من بغى جهلاً وقد كفرا
فتثلم الدين ثلماً لا يسد على ... طول الزمان ولا يرى له مظهرا
يا آل عثمان فانهضوا بقوتكم ... وشددوا غلظـة على عدو طرا
قد كان يخشاكم العدو من بعد ... وحسبه ان يكن بودكم ظفرا
إني لأعجب من جراءة صدرت ... من أمة ضعفت تبغي بها وطرا
وليس يسمح مجد المسلمين بهـا ... فابذلوا دونها النفيس والجوهرا
يرضى الإله ويرضى المصطفى فعلكم
فتلحقون بـــه الفردوس والكوثرا
ان تتقوا ربكم وتصبروا في الوغـى
يمـــدكم بملائكته عسكـــرا
يا معشر العرب الكرام وصبراً على
نار العـــدو وازحفوا لهم سحرا

أليس فرض عليكم أن تصونوا الحمى
وتـدفعوا صولة الكفر ولو كثرا
وتحفظوا شرفاً بنوه أجدادكم ... فيه الحياة والعز والهدى والثرا
يا ويلكم يا بني الطليان من صغر ... تسوقكم من نعيمكم إلى سفرا
أما علمتم بأن الحرب من حقها ... أداؤها في ميدان للمجـال عرا
تعدو به الخيل والكماة بارزة ... تكر ميمنـــة وتنثني أيسرا
حتى تدور هنيئة رحاه بـــه ... تهزم من حينها الضياغم الحمرا
أين البسالة من سوف الشهير بها ... ومن سليمان حزمه الذي اشتهرا
أين ابن عبد النبي وابن فضل ومن ... قد كان سرٌّ من الحضرة فيه سرا
والقرم نجل السنى من تطير العدا ... من بأسه فرقاً وتذهل الأمرا
وفرحات بكم رجونا نصراً على ... عدونا فيفر عاجـلاً مدحرا
وأين ما كان للعرب وقت اللقـا ... من الشجاعة والاقدام بين الورا
قد كنت أحسب أن الصيف لا ينقضي
ولا الخريف وعنـدكم سوى الأسرا
مضى الخريف ودار الحرب بينكموا
إلى الشتاء وهـــذا فصـله أدبرا
إلى متى هـــذا التراخي فـــلا
تنوا وقد كاد صبح الحرب أن يسفرا

فيا حمـــاة الديانة متى حمـــلة
على العدا لن تبقي منهم ولن تـذرا

بالله يا معشر الإسلام لا تهملوا عدوكم ساعة يقوى بها أشهرا
تهدي الفتيات للفتيان من جيشكم سلامها وتسجعن لكم من ورا
كذاك غلمان الحي والشيوخ معاً وكلهم بالدعا والنصر قد جهرا
فدونكم معشري مدحاً وتاريخه عز فنصر أتانا للعـــدا دمرا

٢٤٥ ١٣٥ ٤٥٣ ٤٢٠٠٧٧

سنة ١٣٣٠

من أحمد بن عمر بن أحمد المختاري آل أحمد محمد الشريف الشنقيطي

●

وهذه القصيدة الثالثة بنفس الخط والتنميق :

وأنتم يا محاميد الفعـــال فراركم يعد من المحـــال
ويا جمع الفواتير القرام[1] فدونكم الدفاع عن العيال
ويا عبد النبي لديك سيف وأنجـــال كأمثال الجبال
ويا سادات ورشفان سيروا بنصح للعدو وللقتال
ويا مسرات قد كنتم رؤساً وحكاماً على جمع الرجال

(١) هكذا كتب في الأصل .

ويا ترهونة الجم الغفـــير لكم جيش على عد الرمال
ويا أهل السواحل جمعاً أنتم كحصن دار بالأوطان عال
ويا رجباننا أنتم حمـــاة وفرسان على خيل صهـال
ويا زنتان ما لكمو فشلتم وحربكمو أشد من الوبال
ويا جمع الاباضية الفخـــام لكم صبر وظفر في المجال
ونعم زوارة الإخوان حقاً شجاعتهم بدت بين الرجال
فيا جمع القبائل لو أجبتم ضعيفاً يستغيث من الضلال
يناديكم جميعاً بـل فرادى لكشف ضرورة مع سوء حال
لجئتم بالوفود وبالجموع وقمتم بالبنين وبالأهال
وأنقذتم بلادكمو سريعاً من الكفار أصحاب النكال
فلا تخشوا الممات من الجهاد فإن مماته موت الحلال

انتهت قصائد الشيخ الشنقيطي في جهاد ليبيا مـــع الايطاليين ، وحسب علمي – حتى هـــذه اللحظة – هو الذي اختار لهم شكل الراية لحكومتهم الوطنية بعد انسحاب الدولة العثمانية ، وهي أول راية في ذلك العهد لحكومـة مستقلة في افريقيا التي جعلها على الراية مع الآيات القرآنية الكريمـــة ، وقصة إرسالهـا في الجزء الأول من الكتـاب الأول لسلسلة (صفحات خالدة من الجهاد) .

●

هذه قصيدة الشعر وعلى هذه النسخة كتب أبياتاً – بخطه – الأمر الذي يستوجب تصويرها وارفاقها بها عند الطبع إن شاء الله ، فلا أرى بأساً من جمع ما أمكن من أبياته في موضوع الشعر (متسلسلاً) .

(ذكرى) الحرب العامة ١٩١٤ [1]

هـــذا هو الشعر الذي ... شهد الحروب الهائلات
وعليه أمطرت القـنا ... بل كالصواعق نازلات
خاض المعامع لا يهـــا ... ب على الجياد الصافنات
حباً بتطهير الموا ... طن من بني الإيطاليات
آليت أن يبقـى إلى ... أن يعبر الجند القنات [2]
لنرى الغزاة على ضفـــا ... ف النيل تفتك بالبغات
ونرى طرابلس العز ... يزة في ليـال باهرات

---

(١) كتب التاريخ والحرب بخطه .

(٢) قناة السويس – الشروح بخطه أيضاً . ومن الصدف الغريبة أن يطبع هذا البيت في المطبعة في شهر رمضان ١٣٩٣ هـ في الوقت الذي تم فيـــه عبور الجنود المصريين قناة السويس لدحر الغزاة الاسرائيليين .



[سابان البارودي]

١ ربيع الاول ١٣٣٣ حرره بمركز السلوم من الحدود المصرية

﴿ ذكرى ﴾

هذا هو الشعر الذي شهد الحروب الهائلات
وعليه أمطرت القنا بل كالصواعق نازلات
خاض المعامع لأجلها ثب على الجياد الصافنات
حباً بتطهير الموا طن من بني الإيطاليات
آليت ان يبقى الى أن يعبر الجند القنات
لنرى الغزاة على ضفا ف النيل تفتك بالبغات
ونرى طرابلس العزيـ يزة في ليال باهرات
تختال في بردِ الهنا بالانتصار على الطغات
وترى طرابلس العزيـ يزة في ليال باهرات
وتسود أعلام الجلا ء البلاد الخافقات
وترى الهلال متوجاً جيد الخميط الخالدات
اذ ذاك يخلق بين أنـ ف وباع الاعاظم والذرا
مابين نبيل وذكـ ـي وقديم الصولات
فيكون عنوان الفـ ـخار وحي مدى العصور الدارات
او هكذا يبقى اذا لم ينقص حتى المماتْ
باس وعدت السلـ ـيـ ـن النصر أمنيةُ بالمياة

﴿ صاغده كي قصيدهٔ عربيه‌ك ترجمه‌سيدر ﴾

بو كوردبكك صاحبلر ، مدهش محاربه‌لر مشاهده ايتدى ، اوزرينه صاغه آسدا ، باغيور كبي كولهلر يلغدى ، دهيب اثر اوزرينده قورقونسز محاربه ميدانلرينه آتلدى ، وطني نامرد ايتالياليلردن تطهير مقصديله مطلوف ايدى .

بنا عليه عين ايتدم كه ، عسا كر غالبه قبالي كچدكجه ، دشمنلر يايل سوداجلرندن كرفتار قهر وفلاكت ايدلدكجه ، عزيز طرابلسمز دشمنلك منهوريتي نيجه‌سيله بلرلاق لباس مفخرله منور كيجه‌لر اورالة ايتمكه ، وبيات جليفهٔ مسلمينك هلالي‌شمسه سارى انوارينك منتهاى ضربه‌سنده كائن قاريه آتلهريك فوق سر بلنده تموج ايدن بلاد سائره‌نك خليفه‌نك اعلام سادتي آلتنه توجه‌مكي ، وبدبخت زالم وليعهدم ، الغني اصورايتدكم اوسمود كوبرك اوزرنده انوار عاطفم وعنايتك صداسني تكبير وتهليل ارسلنده ترنم اولهجم .

وبو صاغير اعصار توالي ايتدكجه بومعظم قهرمانك بر يادكار ظفر والهرق حفظ وتذكار ايدلهجكدر . عكس تقديرده ، بوصاغيرى اولوجه‌يه‌قدر طاشيه‌جغم .

اى مسلمينه نصرت وعدايدن خلاق بالشانق ايجون بزه نصرت بخش ايت آمين .



تختال في برد الهنـــا بالانتصار على الطغات
وتسود أعلام الخليفة في البلاد الضائعـات
ونرى الهـلال متوجاً جزر المحيط الخالدات[1]
إذ ذاك يحلق بـين أفو اج الأعـاظم والغزاة
ما بين تهليـــل وتكبير وتقديم الصلّات[2]
فيكون عنوان الفتو ح مدى العصور الدائرات
أو هكذا يبقى إذا لم ننتصر حتى المماة
يا من وعـدت المسلمين النصر أمنن بالحيـاة

•

وهذا ما كتبه على قفا الصورة والتاريخ يؤكد انها أرسلت للأستاذ أمين سعيد عنـــد تأليفه تاريخه الشامل لحرب طرابلس بعد أن حضر إليه بنفسه يطلب العون فلم يبخل عليه بشيء ولكن الظروف السياسية التي كان يراعيهـا الأستاذ أمين سعيد منعته من أهم الأشياء فتألم والدي رحمه الله فعتب عليه ، إذ كانت الوثائق ترسل مسجلة وهو خائف عليها حتى ترجع سالمة ، فضلاً عن الجلسات الطويلة التي كان يقضيها معه عند وجوده في بغداد ويحضر إلى بيتنا .

. . .

---

(١) التي في المحيط الغربي .

(٢) الصدقات – الشروح بخطه أيضاً .

لعل قولي في الأبيات التي ودعت بها طرابلس سنة ١٩١٣ (وقت تجاوزنا الحدود التونسية) وقد أرسلتها إليكم :

فلا شعر نقص ولا هنـــاء نرى مـا دمت رهن الغاصبينا

يكون وسيلة لنقل هذه الصورة وما معها من الأبيات وإن كانت قيلت عام ١٩١٤ وهي جواب مني للسيد هلال السنوسي لما سألني عن سبب إعفاء شعري من القص ونحن واياه مع السيد أحمد في السلوم قبيـل الهجوم على مصر وقبـل رجوعي إلى استانبول في الغواصة والشعر باق كما تراه في الصورة إلى اليوم ، إلا أنه مضفور إلى وراء تحت الياقـة وقد أمر أنور باشا بطبعها على هـذه الصورة وتوزيع قسم منها في مناطق الحرب ، ولما صالحنا إيطاليا على القانون الأساسي سنة ١٩١٩ طلبوا مني حلقة فاعتذرت بأنه لم يحن الوقت فطلبوا أن أقول مـا يقابله مما يدل على حسن نيتي نحو ايطاليا مع بقائه فقلت لهم :

عش أيها الشعر الجليل مسترسلاً كالسلسبيل
تحكي ظلاماً شقـــه قمر له طرف كحيل
تحيي شعوراً لم يزل هو الحيـاة لكل جيل
دم شاكراً ملكاً سمـــا ويتوريو عمانويـل
أعطى طرابلس العزيزة حقهـا أسدى الجزيل
فليحي تاجاً للممالك سالكاً أهـــدى سبيل
وليبـــق منصور اللوا وبجيشه الدنيـــا تسيل

•

دعوت هذا الدعاء عملاً بقوله تعالى هـل جزاء الإحسان إلا الإحسان وإذ نقضوا إحسانهم بالإساءة لطرابلس فإني استغفر الله وأتوب إليه .

شوال سنة ١٣٥٥ – ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٦

سليمان الباروني

عرفني بوصول هذا على أثر وصوله للاطمئنان .

•

وفي ورقة صغيرة أيضاً هذه المفكرة مع أبيات نقلت مع غيرها فلا بأس من تكرارها .

. . .

(تذكار) هذه صورة احتفال المسلمين الموجودين في باريس بعيد الفطر سنة ١٣٤١ حضره نحو ١٥٠ شخصاً من الهنود والأفغان والعجم والقفقاس وتركيا والعراق والشام ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وبعض المهتدين من رجال فرنسا المستر موري [1] وأكثر مأموري السفارات الإسلامية في باريس

---

(١) كنت استمع من مواطنـات ومواطنين ، ووالدي غـائب عن الوطن والمستعمر لا يألو جهداً في التضييق علينا ، بأن لو أراد أبي أن يصادق الإيطاليين لأزال شعار العداوة ألا وهو الشعر ، فلما التقينا وتطرقنا إلى تلك الأحكام كان يقول (اننا سايرنا في غير شين ، لأجل بقاء الحق والمعاملة بـين البشر المعاملة الحسنة ، وشكرته لأجل بعض الإخوة المتخوفين من شعر راسي كأنه كل شيء بينهم وبين المعتدي نعم قلت أبيات أشكر الملك ويتوريو ولكن كما قلت معها إني استغفر الله إذا نقضوا) .

وقد أخذ هذا الرسم في قاعة تناول الحلوى ومشروب اللوز بعد الخروج من قاعة الاحتفال بالعيد أما الصورة التي أخذت في قاعة الاحتفال عقب ختم القرآن الشريف والدعـاء فلم تخرج إلى الآن [1] وكان الاحتفال في الساعة ١٠ من يوم الخميس غرة شوال ١٣٤١ :

نلت الصـدارة في كل المجالس لاكن
لا رجـال ولا مال يقويني .. يؤيدني

لو كان لي كالورى مـال لنلت به
للمنهج الحق أعلى مركز ديني .. مدني

•

(١) الصورة بل الصورتان ضاعتا مع الأسف أما الأبيات فها هي باقية مع مقدمتها رحمه الله .

وهذا جواب والدي على رسالة المستشرق النمساوي في الموضوع الذي طلبه منه وهم في خط الجهاد كتبه على الرسالة ذات الورقة الخاصة بالرسائل جيدة بدون زخرف الموقعة هكذا (الداعي لعمركم بحرية ميرالاي فوس)

في ٥ تموز سنة ١٩١٧

. . .

ج – حضرة الصديق المحترم العالم المستشرق الميرالاي فوس بك (نمساوي) حفظه الله .

سلام واحترام ، ورد إلي كتابكم الكريم فأحيا قلبي بأنبائه عن عافيتكم ودلالته على ما تضمرونه لصديقكم هذا في الود وما تعتقدونه فيه من الكمال بطلبكم إرسال شعر مناسب لشمعدان وشعر مناسب لطاس ماء حين اني لست من الشعراء البالغين هذه الدرجة وان كنت تطفلت على الشعر أيام كان الذهن رائقاً والأيام هنيئة ، أما ونحن الآن كما قال والدي رحمه الله في قصيدة ضمنها نصائح وأرسلها إلي لما كنت في الجامع الأعظم بتونس :

(ألا فاغتنمها يا سليمان فرصة فعمر الفتى كضيف ليل مسافر)
(وعمر فراغاً قبل شغلك وابتدر شبابك قبل الحادثات البواتر)

فقد خلت القريحة من مهيج الشعر والأدبيات ، وشغف الفكر بسماع رنات أصوات المدافع وقواصف قنابل الطيارات ، ومطاردة الأعداء فيما بين المعاقل والاستحكامات على أن كتابكم المحترم وافاني أيام توالي خروج العدو علينا بقواته الهائلة تارة من جهة قرقارش وتارة من جهة زوارة بقصد استرجاع الشطوط الغربية فلم يسمح لي الوقت بالاشتغال بشيء حتى برد الجواب ، فأرجو قبول عذري وغض الطرف عن قصوري وتقصيري ، وحتى لا أكون محروماً من شرف إسعاف مطلوبكم فها أنا ذا أقدم لكم بعض أبيات من إنشاء غيري رأيتها مناسبة لمرغوبكم لتختاروا منها ما يليق ان استحسنتم ذلك وأرجو دوام المودة والمكاتبة لأنها نصف المشاهدة وسلامي إلى صنوكم المحترم وأمراء العسكرية الكرام الذين تشرفنا بزيارتهم وإكرامهم مدة إقامتنا بطرفكم كما أني أتشرف بأن أقدم لكم رسمي هذا تذكاراً .

أخي يحيى يهديكم أشرف السلام وهو الآن قائمقام ككله وكذلك أخي أحمد بك وهو قائمقام الجوش .

٣ ربيع أول ١٣٣٦ – ٥ دوجنبر ١٩١٧ زاوية

. . .

وهنا أبيات شعرية بل وآيات من القرآن الكريم جميعها في ورقة أخرى نسخة مما أرسله :

قرآن كريم مناسب للكأس :

﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ﴾

﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تسمى سلسبيلا ﴾

شعر مناسب للكأس :

هـــذا الرحيق وهذه كاساته

فاشرب هنيئاً ما عليك سبيل

هذا بيت قاله والدي رحمه الله خطاباً لنظيف باشا والي طرابلس لما طلب منه أن يتعهد له بتأمين قطر الجبال من مداخلة الأجانب عام دخول فرنسا إلى تونس .

كأس يروق صفاءها حسناً أمام الناظرين

فاشرب بها فلأنهـــا تهدي الشفا للزائرين

قاله الشيخ سعيد المسعودي قاضي النواحي الأربعة بطرابلس .

لا تسقني ماء الحيـــاة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أفضـــل منزل

هو من قول عنترة بن شداد الشاعر الفارس المشهور المتوفى قبـــل ظهور الإسلام بسبع سنين وهو مناسب لوقت الحرب الحاضرة .

قرآن كريم مناسب للشمعدان :

﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ الآية .

شعر مناسب :

إذا ما رمت صفواً في أمان وطيب الأنس في وقت التهاني

فها نور تسامى فوق نور يريك محاسناً بالشمعدان

قاله الشيخ سعيد المسعودي قاضي النواحي بطرابلس .

●

بمناسبة الحرب قلت مشبهاً هيئة جماعة أصدقاء مجتمعين حول مائدة طعـام بأيديهم الملاعق والشوك والسكاكين وفي وسط المائـــدة شمعدان يضيء عليهم وذباب الليل المتهافت على الأنوار في ليـالي الصيف المشهور بالفراش يحوم فوق الشمعدان بهيئة طويجية المدفـــع المنصوب المعد لضرب طيارات العدو وقت جولانهـا فوقهم وهم حول مدفعهم في استحكاماتهم يستعدون لضربها وبأيديهم أدوات الرمي والحفر :

النور يسطع والفرا ش يجول فوق الشمعدان

والأصدقاء على كراسي صففت من خيزران

فكأنهم والعود يطر ب بين ترخيم الحسان

جند حوالى المدفـــع الرشاش والطيار بان

يستحدثون معاقـــلاً مستحكمات بالسنان

٣ ربيع أول ١٣٣٦ ٥ دوجنبر ١٩١٧ [1]

(١) نقلتها حسب ترتيبه ومع ملاحظاته مثل قوله (هذا بيت قـاله والدي رحمه الله الخ ..) وقوله (شعر مناسب للكأس– ومناسب للشمعدان الخ).

أما الشيخ سعيد المسعودي فهو مواطنه الذي لم ينس أخوته قطعاً ، فقد كانت المودة متجاوبة على بعد الديار واختلاف الظروف، فلما سمع بالحفيد الأول (طارق) رحمه الله،أرسل قصيدة عصماء يهنئه بوليده مطلعها (زكريا في نظام =

انتهى ما جمعه وأجاب به صديقه العسكري رغم الظروف والمواقف التي بينها في جوابه على الرسالة المرفقة بالأبيات .

= الأصفياء الخ)فلما وصلته ونحن في بغداد والحفيد في الأشهر الأولى من عمره ، أسرع إلينا بها وهو يفيض سروراً وأخذ ينشدها في وجهه وهو يرفرف لابتهاجه ويحاول محاكاته، فلما انتهى قال (كيف استطاع أن يرسلها بتوقيعه ؟ نعم هي في رسالة الشيخ أبو الربيع ولكن إني على يقين بوجود المراقبة ، وقد يكون شبه فخ للشيخ المسعودي من المستعمر سوف لا أنكد عليه بشيء من الذكريات بل سأشكره ببساطة وباختصار فكأنه ليس المواطن المسعودي ، رفيق الجهاد والتضحية الصادقة) رحمهم الله جميعاً .

بسمه تعالى

من كتاب أبي اليقظان (سليمان الباروني باشا في أطوار حياته) صفحة (١٨٩) تحفة غالية أدبية منه لنا :

بما أنه جرى على ألسنتنا — عندما كنا معه في النزل — حديث عن النهضة العلمية الجديدة ولا سيما بعثتنا العلمية بتونس ، كما أشرنا إليه ، فإنه التمس منا — إذ حرم من رؤية أبنائنا — صورهم وكتاباتهم فأرسلناها إليه ، فإنه لما رجع من تونس مكرهاً إلى مرسيليا كتب إلينا في أواسط رجب ١٣٤٢ —٢٢ فيفري ١٩٢٤، رسالة بليغة ضمنها أبياتاً عالية في الموضوع كجواب لذلك ونصها :

حمداً وصلاة وسلاماً

الأخ الجليل الحر المحترم ... حفظه الله .

سلاماً واحتراماً . ورد إلي أمس كتاب ومجموعة صور للتلامذة النجباء فدلتني كتاباتهم على ما لديهم من الذكاء والاستعداد للنزول في معترك الحياة الجديدة للبقاء مع الأحياء .

كما حرك مني منظر صورهم الجميل قريحة طالما حاول الدهر إخمادها، وفكرة كثيراً ما نوت النوائب قتلها ولكنها لم تمت ولن تموت باذن الله . فقلت الابيات الآتية جواباً وتنشيطاً لتلك الشبيبة المعتصمة بالله :

حياة تجلت فاستنار بها الشعب وشمس تبدت فاستضاء بها الغرب

وروح سرت من مبـــدع الكون فانثنى

فتى مركز الصحراء نحو العلا يصبو

هو العلم إن حل الرفات تلألأت وإن حل طوداً شامخاً راسخاً يحبو

فلا عجب إن قيل تونس أصبحت محط رجال العلم منهلها عذب

لقد أمّها عن مصعب العرب ثلة شباب صغار لا يعد لهم ذنب

رأوا للعلا راياً فتاقت نفوسهم إلى نهجه فاستسهلوا ماهو الصعب

أتتني رسالات تشف عن الذكا وعن همم عليا وروح لها صوب

بني الغرب أكباد الشبـــاب تعطشت

فلا تحرموهم ما إليه الورى هبّـــوا

أروهم من الدين الحنيفي أسه ومن أمر دنياهم علوماً لها لب

فهم عدة بل للطواري أسنة وهم أعين الأجيال بل هم هم القلب

ومن لم يسلح بالمعارف قومه غدا علقماً مستعبداً ماله صحب

يرى الحبل ثعباناً ويحسب حبة من القمح منطاداً فينهكه الرعب

وهل بعد هذا للحياة فضيلـــة بربك لا لا، فالعلوم هي القطب

مرسيليا أواسط رجب ١٣٤٢ – ٢٢ فيفري ١٩٢٤ **سليمان الباروني**

●

– تحفة أدبية منه أيضاً لأبناء البعثة .

لما التمس أيضاً من أبنائنا التلاميذ أفراد البعثة – لمزيد حنينه إليهم – أن يكتبوا إليه ما يعن لهم من رسائل وأن يرسلوا إليه معها صورهم أيضاً زيادة عما مر سابقاً ليرى تطورهم في العلم ونموهم في الحياة ، أجابوه لذلك بما سره وأبهجه وتبين له من ذلك تفننهم وتفاءل منه خيراً للأمة والوطن فأجابهم بالقصيدة التالية التي تضرب على الأوتار الحساسة وتهز العروق النابضة . وهذا نصها :

إلى الطلبة النجباء حماهم الله ووفقهم :

نسمات الشوق هبت بانتظام حاملات للتهاني والسلام

وتغنى بلبل الأنس وهـــام إذ هلال القطر قد زان السما

. . .

بدت الأقلام تشدو وتجول تنظم الشعر عقوداً وتصول

وتجيد النثر طوراً وتقول إن رعدنا انقلب الأرض سما

. . .

يا شباب العصر يا روح البلاد يا رجال الغد يا نور الفـؤاد

يا دعاة الارتقا والاتحـــاد يا جمال القطر لكن بعد ما

. . .

أنتم للشعب حصن وسلاح عندما تنشر أعلام الكفاح

أنتم عند اللقا كبش نطاح يدفع الأضرار عن ذاك الحمى

. . .

قد أتاني منكم النظم الجليل وسقاني كأس راح سلسبيل

كيف لا ؟ وهـو شفاء للعليل كاد يدعى بحكيم الحكما

...

اعلموا هذا وجدوا في العلوم واطلبوها في الثرى أو في النجوم
ودعوا الجاهل كالعير يحوم إن جهل المرء مـوت وعمى

...

قد علا قوم متون الصافنات واستعدوا للحروب الطاحنات
واستخفوا بملذات الحيـــاة فرأوا النصر وأعلوا الهمما

...

هكذا العلم به يحيا الموات وبه ينقاد للمرء الطغـــاة
وبه يلبس من حسن الصفات ما به يـدعى عظيم العظما

مرسيليا ٥ ذي القعدة ١٣٤٢ هـ سليمان الباروني

...

ومن رسالة طويلة أيضاً ونحن في بغداد لأخية أبي اليقظان سنة ١٣٥٢هـ يقول:

احفظ لي كل ما كتبته لك وما أكتبه ربما يأتي وقت أحتاج إليها فأطلبهـا منك لأتذكر بها لان أكثرها لا مسودة لها عندي . لهذه المناسبة قلت ارتجالاً:

تأمل يا أبا اليقظان وانظر تجد ذا البؤس في جنب الملوك
فليس المال للاجـــلال كاف ويكفي للعلا حسن السلوك
فسبحان الذي خلق البرايا على حكم تجل عن الشكوك

...

آه يـا درهـم آه أنت أس للرفـاه
كل من في الكون قال إن في الدرهم جاه
فهو يسعى بتفان لا يبالي كي يراه
أنت للانسان عون بل بك المجد تناه
أنت للعلم سيـــاج أنت للاخلاق شاه
إن في الفقر شرور ليس تحصيها شفاه

•

وفي نهاية رسالة طويلة أخرى لأخيه الثقة أبي اليقظان الذي يدرجهـا تحت عنوان (كيف تجتمع الفضيلة والبؤس في مكان واحد ؟) في صفحة (١٠٣) من الجزء الثاني لكتابه، هذان البيتان اللذان حرمنا من الصورة التاريخية التي أخذت لمناسبتها وهو اجتماع المسلمين في عيدهم بباريس ، يقول رحمه الله :

وهلا حافظت على البيتين اللذين كتبتهما على لوحة رسم الجمعية الإسلامية في باريس يوم العيد وهما :

نلت الصدارة في كل المجالس لـ كن لا رجال ولا مال يؤيدني
لو كان لي كالورى مال لنلت به للمنهج الحق أعلى مركز مدني

•

ومن رسالة أخرى بتاريخ ١٧ جانفي ١٩٢٤ م أنقل ما يلي :

يودون مـوتي ولكنني على رغم أنفهم لا أموت
أعمر دهـراً ولي أمل تخر إذا ما تجلى ليوت

أبدد تسعين عامـــاً ولا
يخامرني اليأس حال السكوت

وإن حقق الله لي مائة هناك يحق الرضى والقنوت

•

ويقول أيضاً بروح المؤمن الشجاع :

هي النوائب لي فـــلا أرضى بها للخاملين
العاكفين على الـــلذا ئذ في رضاء المشركين
لهم الطنافس والتنـــا فس بالغواني والبنين
ولهم معاقرة الخمـــو ر ونقض غزل المسلمين
ولهم بلا حـــد من الا عداء ما للخائنـــين
ولي التغريب في البحـا روفي البراري بالسنين
ولي الجيـوب الخـاويـا ت مع الكفوف الطاهرين
ولي التباهي بالوقـــا ئع في كفاح الغاصبين
ولي السيوف المرهفـــا ت الماحيات لكل شين
ولى الجياد الصافنـــا ت الصائلات على الدفين
العاديات الموريـا ت الغائرات على الكمين
الجاذبات الشاطحا ت لدى اقتفاء الهاربين
هذا الفخار ولا فخا ر بغيره في كل دين

فلينهض الأحرار إن راموا نجـــاة المؤمنين
فمحمد فخـــر العوا لم يستعين ولا معين

كتبت إليكم هذا عقب رجوعي من نيس ومونتكارلو تسلية وتحريكاً للفكر والقلم .

من أخيكم
سليمان الباروني

•

وفي رسالة أخرى تتضمن على قصيدة أيضاً يقول :

حمداً وصلاة وسلاماً – ٢١ رمضان ١٣٤٢ – مرسيليا :

اخوان الصفاء – حماهم الله – سلاماً واحتراماً .

الظاهر أن الحكومة المصرية الجديدة اقتفت أثر أسلافهـــا في استشارة الانكليز أو الطليان في مسألتنا ولذلك مضى نحو شهر ونصف ولم تجب عما كتبه إليها سفيرها في باريس . الخ ...

بقي باب الله الذي سيفتحه بعد سد هذه الأبواب كلها ، إذ حكمته تعالى لا تقضي بسد جميع أبواب الدنيا أمامي خاصة. وها أنا ذا منتظر ذلك منه فإنه مفتح الأبواب الفعال لما يريد . أما الإنسان فقد علمنا انه آلة تديره يد القدرة التي لا يد فوقها ولا حول ولا قوة إلا بالله. سلامي واحترامي إلى من معكم من أفاضل الإخوان .

ودمتم في عز لأخيكم سليمان الباروني .

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) .

وداع شهر رمضان المعظم ١٣٤٢ بمرسيليا :

شهر الصيام قد ارتحلت مودعاً ... فعليك يا شهر الرضاء سلام
شهر الإله إلى الإله تقدمت ... أعمال من بالصوم فيك يلام
صمناك يا رمضان لا عن رغبة ... في معشر قال الصيام حرام
صمنا نهارك قائمين بليله ... حيث الصلاة تعاب والإسلام
صمناك طوعاً والقلوب كئيبة ... حيث استبيح حمى الحنا ومدام
صمناك حيث يقال لا رب ولا ... رسل ولا كتب ولا أحكام
صمناك في باريس عاصمة البغا ... مهد المعارف زهرها بسام
صمناك في مرسيليا إذ قررت ... دول التحالف أسرنا وتعاموا
فاشفع إذا ما للشفاعة موقع ... كيما تظلل ربعنا الأعلام
سنة مضت والله لم يفتح لنا ... باباً ويوم في المذلة عام
أترى يقدر لي صيام ثالث ... حيث العبادة للمسيح تقام
لا تسمع الآذان تكبيراً ولا ... يلقي خطيب مرشد وإمام
إلا نواقيساً تدق إذا أتى ... وقت تقدس عنده الأصنام
آه فما هذا التحكم في الورى ... حل الشقاء فهل يسلّ حسام
ويل لمن عرف الحقائق وارتدى ... ثوب السكينة والعباد تسام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وداع شهر رمضان المعظم ١٣٤٢ بمرسيليا

شهر الصيام قد ارتحلت مودعا ... فعليك يا شهر الرضاء سلام
شهر الاله الى الاله تقدمت ... اعمال من بالصوم فيك يلام
صمناك يا رمضان لا عن رغبة ... في معشر قال الصيام حرام
صمنا نهارك قائمين بليله ... حيث الصلاة تعاب والاسلام
صمناك طوعا والقلوب كئيبة ... حيث استبيح حمى الحنا ومدام
صمناك حيث يقال لا رب ولا ... رسل ولا كتب ولا احكام
صمناك في باريس عاصمة البغا ... مهد المعارف زهرها بسام
صمناك في مرسيليا اذ قررت ... دول التحالف اسرنا وتعاموا
فاشفع اذا ما للشفاعة موقع ... كيما تظلل ربعنا الاعلام
سنة مضت والله لم يفتح لنا ... بابا ويوم في المذلة عام
أترى يقدر لي صيام ثالث ... حيث العبادة للمسيح تقام
لا تسمع الاذان تكبيرا ولا ... يلقي خطيب مرشد وامام
الا نواقيسا تدق اذا اتى ... وقت تقدس عنده الاصنام
آه فما هذا التحكم في الورى ... حل الشقاء فهل يسلّ حسام
ويل لمن عرف الحقائق وارتدى ... ثوب السكينة والعباد تسام
دول على قمم الانام تحالفت ... فتحكمت فازدادت الالام
وغدت تقسم من بلاد الله ما ... شاءت وما للمؤمنين نظام
قسمت معالم البلاد وفرقت ... فاستذل المسلمين خصام
فتنافسوا وتقاطعوا فاستطعفوا ... وبدا الهوان حيث حل يضام
لم يبق للاسلام قطر قائم ... فالله عدوه بدء ونظام
فالنبي محمد ولد به ... وكتابه صوت ولا احكام
الا بعض بقاع ارض مالها ... باب لقادمها ولا اعلام
هي كالاسيرة بالعدو محاطة ... لم يغنها جيش ولا اقدام
رفقا بدينك ربنا اذ عاد في ... خطر نصاع لنسفه الالغام

سليمان الباروني

دول على قهر الأنام تحالفت فتحكمت فازدادت الآلام
وغدت تقسم من بلاد الله ما شاءت وما للمؤمنين سهام
قبضت مفاتيح البلاد وفرقت فاشتد بين المسلمين خصام
فتنافسوا وتقاطعوا فاستضعفوا وبدا الموحد حيث حل يضام
لم يبق للإسلام قطر قائم ما للعدو به يد ونظام
ما للنبي محمد ولدينه وكتابه صوت ولا حكام
إلا ببعض بقاع أرض ما لها باب لقاصدها ولا أعلام
هي كالأسيرة بالعدو محاطة لم يغنها جيش ولا اقدام
رفقاً بدينك ربنا إذ عاد في خطر تصاغ لنسفه الألغام

مرسيليا في أواخر رمضان ١٣٤٢

سليمان الباروني

•

وهذه قصيدته في الخلافة تحمل كما يقول اخوانه بعض انفجاراته التي لا تبقي ولا تذر :

(الخلافة) :

الله أكبر حارت الأفكار في حكمه سبحانه المختار
حكموا وظنوا أن حكمهم مضى وطغوا فغار إلهنا فانهاروا

(نزلوا) وها أنا قد صعدت فهل لهم أن يهدموا ما شاده الأقدار
مالي أرى (بونكاريا) زلت به قدماه أم قد دكه الجبار
زمناً قضيت بحكمه متفرنساً[1] فكانني لص إليه يشار

...

هذا (الباروني) قد نجا من كيد (بون
مرشى) فهلا أنتج الإصرار
فليعتدل إن شاء أو فليعتزل وليبك (كرزون) الفتى المكار
(ولموسيليني) أن يخضب خده وكفوفه فالهنا قهار
وليستبق أبطال (مصر) جهادهم ما (سعد) منقذهم ولا (نوبار)
ما (سعد) إلا مثل سابقه بلا شك ألا وليفهم الأحرار
أرى (الكنانة) لا تحوز (خلافة) ما دام (جورج) حامياً أمار

...

إن (الخليفة) لا يكون (حماية) بل إن حامي المسلمين منار
ليس الخليفة من يكون عبارة عن هيكل هو شبه مقبور يزار
إن الخليفة لا يكون منافقاً أو ملحداً أو خائناً غدار
(ليس الشريف) ابن النبي خليفة إن لم يحطه الجند والدينار

ويصون بالأسطول ثغر بلاده ويحفه الغواص والطيار

(إن) الخليفة ناظم الدنيا وحا مي الدين وهو المؤمن المختار

(إن الخليفة) لا يقيد بالعهو د عن الجهاد كما يشا الكفـــار

. . .

هذي الحقيقة قد كشفت قناعها فليعملوا حتى يثور غبـــار

ويعود كالمرجان أحمر قانيـــاً أيام فيض نيلها الجرار

ويجول بين جنوبها وشمالها مثل الغضنفر شبلها الكرار

ويلوح في جو السياسة لامعاً نبراسها فيؤمه الأخيـــار

إذ ذاك يعلم خصمهم ورجاله إن الكنانة جنة أم نار

فيبارح (الوطن) الجليل مزوداً باليأس تعلوا وجهـــه الأكدار

إذ ذاك تنشر (للخلافة) راية بجلالها تستأسد الأنصار

إذ ذاك ينصب (للخيفة) منبر وبذكره تترنم الأقطـــار

إذ ذاك تصبح مصر قطب الأرض من
شرق إلى غرب عليه تدار

هذا طريق الحق يا من رمته فاعمل وإلا فالنهاية عار

مرسيليا – ١٥ شوال ١٣٤٢
سليمان الباروني

•



المجاهد سليمان الباروني سنة ١٩٣٨ م وهو في بغداد، في آخر بدلة افرنجية لبسها وقد كانت البدلة الوحيدة التي يملكها مـــع معطفها إذ ذاك فلا تزال محفوظة . رحمه الله.
في سطح منزل خليل افندي – الأعظمية

وهذه قصيدة له في مصر ضمنها لرسالته المفصلة لما قاساه من المستعمر وأذنابه سواء في تونس أم مصر بعد أن يقول في آخر الرسالة ما يلي :

ولو كنت جاهلاً حقيقة تونس ومصر لما شعرت بأني على أبواب مملكة تحكمها حكومة مسلمة .

وقد شاهدت علامات الاستياء من هـــذه المعاملة ظاهرة على وجوه كل من البوليس التونسي والمصري والذي سمعته من ألفاظ الاستياء من البوليس التونسي هو عين ما سمعته من البوليس المصري ، فكأنهما ينطقان بلسان واحد ويعبران عن ضمير واحد مع بعد ما بين البلدين ، فليعتبر المعتبرون وليفهم (المستغلون) المحميون والمحتلون ولله في خلقه شئون .

هذا وقد جادت القريحة بالقصيدة الآتية بمناسبة ما جرى ولنقدمها للقراء الأفاضل ، وهذا نصها :

هويتك يا مصر وهل في الهوى صبر
وأنت التي يشفى بأدوائك الصدر

هويتك إذ فيـــك المعارف أشرقت
لك الشكر والشرق العظيم له الشكر

هويت رياض العلم فيك بازهر يعز بـــه دين الهدى ولك الفخر
هويت خصالاً في رجالك أعجزت من الغرب أقطاباً لها علناً خروا
هويت ومن أهوى سواك وكنت لي إذا السعد ولى ملجأ هابه النسر

(١٣٢٥ هـ)

هويتك قدماً والهوى كلما صفا تحكم واستولى كما يحكم الحمر
هويتك حبـــاً والفؤاد متيم فهل تسمحين اليوم بالوصل يا مصر؟
هويتك لكن لا سبيل إلى اللقا وكيف وباب الشرق أغلقه الحمر
مررت على أبوابك اليوم نازحاً وفي النفس آمال يطول بها الشعر
مررت على أبواب فسطـاط عزنا ولم أقترب منها وقد شادها عمرو
لقد فتح الإسلام مصر وساسها وها الآن جورج قال يكفيكم الزمر
هممت بوصل إذ تجلت فلم يكن وكان على الأبواب من عندهم أمر
يقول ألا لا تدخلوها ففي يدي مفاتحها والذل والطرد والقهر
ومـــا هي لابن الباروني بمنزل ولو يشفع القطبان أو يسجد البدر
وأصدر للبوليس أمـــراً مشدداً فلاذوا بنا حتى ارتحلنا وهم يشر
فناديت لكن لا حياة ولا صدى فقلت ومني كاد ينتثر الجمـــر
أأحياء قومي في جفـــاء وغفلة أم أنتم بسجن أرضه سندس خضر
يحيط بكم سور من الضغط محكم يهددكم زيـــد ويرعبكم بكر
أجيبوا فـــإني أزهري ووالدي له من عباب الأزهر التبر والدر
أود بأن تنسل منكم عصابـــة تحدثنا ، هل صح ذلكم الصدر ؟
وهل زدتم عزماً وحزماً ووحدة يؤيدكم في حفظها الكر والفر
فتلقي عصا الترحال فيكم امامة مقدسة علياء قـــد عضها الدهر

أم انتم بسلم هـــائمون وزخرف يحل بكم جيش ويحميكم طير
تشيدون لابن العاص ذكراً مخلداً نعم هو قول لا يرى بعده ضر
وتعلون للأجـــداد شاناً بكتبكم ولكن لأعمال لهم خضع البحر
وتحيون بالتمجيد قـــولاً مزوراً مآثر فرعون الذي ضمـــه القبر
فإن يك هـــذا فالوداع ولا أرى نجاحاً و(كرزون) له النهي والأمر

بيروت ٢١ ذي القعدة ١٣٤٢ – ٢٣ أوط ١٩٢٤

سليمان الباروني

•

وفي سنة وصوله إلى الشرق بلغه خبر وفاة أحد أساتذته في جامع الزيتونة ألا وهو الشيخ محمد النخلي أستاذه في التفسير حين كان يتلقى العلم في الجامـــع الأعظم – الزيتونة – ومن مشايخه أيضاً إذ ذاك الشيخ عثمان المكي شيخ مشايخ الجامع الزيتوني ، فتألم لوفاة شيخه النخلي ورثاه بهذه القصيدة في رجب ١٣٤٢هـ رحم الله الجميع :

سطا الموت وهو الصائل المتغطرس فأودى بأقطاب سموا وتنافسوا
كأستاذنا النخلي من فجعت به مجالس قطر المغربـــين فعبسوا
رحلت أبا عبد الإله مكرمـــاً ولم تشهد القوم الذين تجنسوا
رحلت من الدنيا الدنية قاصداً مقـــام خلود أهله لم يدنسوا
رحلت ولم ترحل بعدت ولم تزل قريباً ولكن الغزاة تأنسوا

فسلم على الصحب الكرام وقل لهم إذا سألوا إن القليـل تمجسوا
وأما الكثير التابعون لنهجهم فقد مزقوا ثوب الشقا وتقلنسوا
ورض في ريـاض القيروان مـواصلاً
بروحك أعـلاماً هـداة ترأسوا
وسوف توافيك البشائر أنهم على فكرك السامي مدارس أسسوا
لكل زمان قادة وضراغم إذا اشتد أعوان البلاء تترسوا
فلا تيأسن من روح ربـــك انه
نصير الهدى إن وسوسوا وتجسسوا
برونية خذها رثاء ولا تسل إذا خمس الاعداء عيني وسدسوا
فاني لها والدهر يعدل تارة ويظلم مرات إذ القـوم دلسوا

•

بعد سنة تقريباً من وصوله إلى عمان ، وبعد أن ساح فيها سياحته الأولى كما سماها إخوانه إذ ذاك ، والواقع ليست هي بسياحة مطلع يغادرها لمقر له ، أو وطن مفتوح لاستقباله ، إنما كانت جولة استطلاعية لابن من أبناء الأمة ، وزيارات أخوية لاخوة أعزاء لديه في ديارهم العامرة بهم ، وهذا ما كان يهزه فرحاً ويبعد اليأس العميق الذي كان يغالبه الاستيلاء على وجوده ، وهو يصارع حمى الملاريا متجلداً ، لاح أمل ما لبعض أحبابه بأنه سوف يحصل على رخصة لمكان ما ولو للهند ، للمعالجة والاستجمام ، فودع دواخل البلاد فوصل مسقط ورسائل التوديع الحار تتوارد عليه ، وجاشت مشاعره بهذه القصيدة وداعاً لأهل عمـــان كافة وهذا نصها :

وداعاً من فؤاد مستهام إليكِ عُمان يا مهد الإمام
إمام المسلمين إبو المعالي محمدٌ المؤيد بالحسام
سليل المجد طلاع الثنايا لحضرته أبادر بالسلام

•

وداعاً والعيون تفيض دمعاً لحزن لم تذق طعم المنام
تناجي القلب وهو يئن طوراً ويضرب تارة ضرب الرِّزام
كان لسانه يتلو دواماً وهل مثل التفرق من سقام
تركت عمان رغماً وهي تزهو بإخوان كعقد في انتظام
أسود لا يرون الموت بأساً وهم حصن منيع للهضام
لهم أدب به يجلى صدا من غدا مرمى نوائبه الجسام[1]
ويشرح صدر من ضاقت عليه رحاب الأرض من دوَل عظام
ويشفى غلة المضنى ويحيي نفوساً بالجهالة في ظلام
وحدث ما تشا في الجود عنهم وهم في الدين أمضى من حسام
لهم حكم بشرع الله يجري به كل المحاكم في انسجام
فلا دول الأجانب عن رعايا تناضل أو تهدد بانتظام

---

(١) لسماعي للكثير من المقصود من تعبيراته أراه يقصد ما رآه أبو اليقظان وهو (أي نوائب الدهر المفهوم من المقام).

ولا عهد يقيد مرتضاهم تحافظه القناصل بالخصام
فهم في روضة حُفت بأمن وفي حرية سمحا النظام
فزدْ في عزهم واخصب ربوعاً بهم تختال يا ربَّ الأنام
وهب لي عودة تروي غليلي اليهم يا مغيث المستهام

الغبرة[1] — ٢٤ رجب ١٣٤٣

سليمان الباروني

•

وهذه قصيدة قالها يوم قلده السلطان تيمور بن فيصل (النيشان السعيدي) أكبر وسام في الدولة السعيدية ، وحضر التقليد العلماء والوزراء والأعيان . وكانت المناسبة جامعة للتكريم ومودعة السلطان تيمور وقد عزم على الذهاب لولاية ظفار ، وأمل الباروني في مغادرة عمان إلى مصر بمساعي بعض رجالاتها، وكان رحمه الله يذكر ذلك لا يأساً ولكن لتضارب الأحوال على مثله فيقول : (بعثت لأصدقائي بعنوان إبراهيم ، ولكن في يومين جاءني رفض مصر لطلبي دخول أراضيها للاستشفاء ورؤية ابني، فقطعت الأمل منهم فوليت وجهي داخل عمان وآثار الحمّى لا تزال تتعبني) وهذه القصيدة وتاريخها(١٤رمضان ١٣٤٣):

تيمور يا تاج الملوك ويا متوج فخرها
قلدتني نعماً عجز تُ عن الوفاء بشكرها

---

(١) الغبرة — بلدة في الطريق إلى مسقط ، وقد كان (لعدم وجود السيارات فضل كما يقول) طول الطريق والاستراحة في كل مدينة وقرية مر بها عند الاستقبال فلمس أثر التوديع أيضاً .

مذ زان صدري بالوسا م يد توالى بِرُّهـــا
فغدوت أسمو تائهـــاً والدهر يخضع مكرها
عش بالهناء مؤيـداً ما الشمس أشرق فجرها
ولتخدم الأيام من أمسى قـلادة نحرهـا
أعني ولي العهد نبراسَ المشارق بدرها
ولتفخرنَّ ظفار إذ شرَّفتَ محكم ثغرها
ومنحتهـا بعنـاية سار النسيم بعطرها
لا زلت ترتاد المما لك بالعلوم ونشرها
هُزَّ اللواء وسر تقو د الكائنات بأسرها
ونوالُ مزنك غامر لجج البحار وبَرَّهـا
من بـاروني قد غـدا كالمستهام بذكرها
ثم الصلاة على النبيِّ ختامها في عصرها

•

وقد ختم رسالة لصديقه الحاج عمر العنق الجزائري – المزابي – بهذه الأبيات التي يقول له إنه ارتجلها ساعة الكتابة إليه :

هل صح عندك ما ذكر ت من المفاخر يا عمر
طالع كتـــابي في اور با تلقَ هاتيك العبر

وادرك بأن الدهر بحرٌ والورى سفن تُجَر
لا خير في يأس الجبا ن بل النجاة لمن جسر

•

في سنة ١٣٤٤ هـ وهو في مسقط يحضر مجالس السيد تيمور بن فيصل وأهل بيته وأحبابه من الأدباء والعلماء طلب منه تشطير وتخميس بعض الأبيات فأجاب الطلب كتابة طبعاً وترك من كل ذلك نسخة بخطه . وحيث إنه كان في راحة جسمية استطاع أن يتبع عادته في كتابة الشهر والساعة ، رحمهم الله ، وهـــذه هي الأبيات :

حضرة الباشا المحترم ، بعد أوفر السلام ،

هذان البيتان يطلب من حضرتك جلالة السلطان تخميسهما :

مثل الجاهل في اعجابه مثل الواقف في رأس جبل
ينظر الناس صغاراً وهو في أعين الناس صغير لم يزل

نرجوها بوجه السرعة المسامحة

مخلصكم المحب

علي بن سالم

٧ شوال ١٣٤٤ هـ الساعة ١٢ مساء

•

مثل الجاهل في اعجابه بعيوب فيه سارت كالمثل
ظنها أسمى صفات فغوى مثل الواقف في رأس جبل
ينظر الناس صغاراً وهو في
عقله أصغر من عقل جمل

لو غدا الجاهل فيلاً فهو في
نظر الناس صغير لم يزل
لو بدا الجاهل سلطاناً ففي . . . . . .

لم يتمه بل وضع التاريخ .

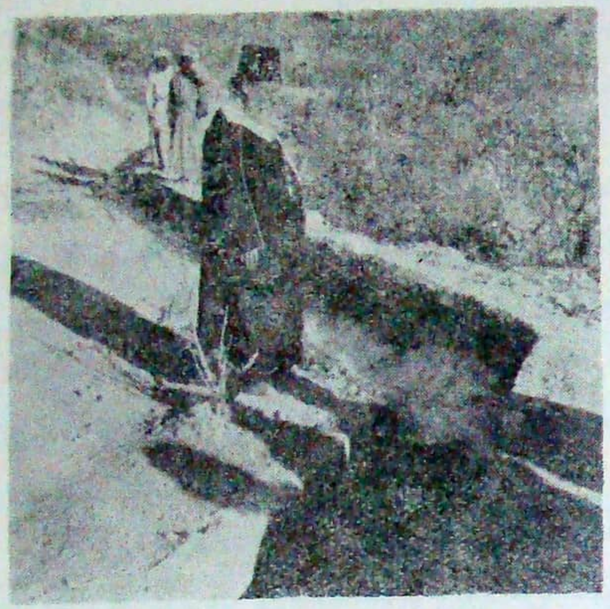
وفي ورقة أخرى وعلى ظهر الرسالة القصيرة المتضمنة للطلب يقول :

سمو السيد علي بن سالم ، في هذه الساعة وصل جوابك في عدم الاكتفاء بالتشطير الذي أرسلته اليك البارحة وطلبت التخميس فها هو على سبيـــل الاستعجال واشتغال البال :

إن ترد عيشاً هنيئاً ما به كدر يسفر عن أنيابه
فدع الجاهل في ألعابه (مثل الجاهل في اعجابه)
(مثل الواقف في رأس جبل)
يعتلي جهلاً على كل وفي ورى أن العلا في التلف
يعرف الحق ولكـن لا يفـي
(ينظر الناس صغاراً وهو في)
(نظر الناس صغير لم يزل)

الساعة ١ صباح ٨ شوال ١٣٤٤ مسقط سليمان الباروني

•



سليمان الباروني على قناة جديدة في مزارع السلطان سعيد بن تيمور في ظفار حوالي سنة ١٩٣٩ م .

كان السلطان تيمور بن فيصل يعامله كما قال للمستعمرين عند اعتراضهم لدخول الباروني إلى عمان وهو ما معناه (إنه صديق لي وفوق ذلك من أعز اصدقاء والدي فلا سبيل إلى إغلاق الأبواب دونه). وأسكنه ألطف (فيلا) في ضواحي مدينة مسقط، يحيط بها بستان كبير وتعرش على شرفته الورود والرياحين الزكية، وهو القصر – أو الفيلا التي نزلنا بها فيما بعد عند وصولنا لوالدي. ورغم انتقاله إلى القطر الداخلي – جانب الامامة، فقد اتبع السلطان الشاب سنة أبيه في ذلك، أما أبي فكان يذكر سويعات السيد تيمور الأخوية بتحسر ومقت للأعداء.

بعد حوالي سنتين من وصوله إلى القطر العماني، وبعد أن حاول الخروج فيئس من الوعود التي يحبطها الاستعمار ولو للاستشفاء في أقرب البلدان الموالية لهم وكأنه حز في نفوسهم – أعني المستعمر – ما استقبل به من أخوة تفيض حرارة كأنها لم تسمع لذلك الترصد الظالم أو تصغي إليه، وبعد أن أعجزته (الملاريا) عن الكثير مما انبعثت له حقائقه، وقد وجد أحباباً وأهلاً لا يزالون يذكرون (الشيخ الباروني) كفرد منهم – بعد ذلك كله عزم على تحقيق أمنية من أمانيه الا وهي صعود (مزون) الأشم – الجبل الأخضر، فتهيأ لذلك، فوصل نزوى من جديد. فتخلف هناك كل أصحابه ورفاقه الشيوخ بل حتى الكهول، فتقدم صحبة جماعة أغلبهم شباب، فصعد الجبل راجلاً لصعوبة الطرق بل إنها معدومة في الواقع، فتعرف على القرى والغابات طول الطريق. ولا أدري كم يوماً قضاها في ذلك حتى بلغ القمة الشماء، كما كان يقول معجباً فكأنه يرى فيها شمم العروبة والاسلام. ولكن هناك، نعم هناك وفي محراب قديم، وفي هدأة الليل أنشد أبياته الرقيقة – عندي – والتي قلت له مرة وهو يذكر جمال الطبيعة في تلك القمة (انها أرق ما رأيت لك من شعر، فهل أحسست بوحشة إلى ذلك الحد؟) فقال في هدوء: (في الواقع إن تلك السياحة كانت أمنيتي، ولكن لأمر ما وجدت نفسي وحيداً، قريباً من السرمدية، فتملكني الحنين على صورة لم يتملكني قط، حتى وأنا في في أسر أوروبا، ولم انم حتى طلعت الشمس، فطلبت النزول

والرجوع من حيث أتينا. فاستغرب الشباب الذين معي وقد ظنوا أني سوف لا أتركه بسرعة، على الأقل لأسبوع، ولكن لم أقبل منهم. فنزلنا ذلك الدرب الشاق فكأني سأجد الوطن عند سفوحه.) ثم استدرك (مسقط الرأس). وهذه هي الأبيات التي لا تزال وريقاتها الصغيرة المصفرة تعيش في أمان فكأنها تقول (أين هو؟ أين هو ليكرر الحقيقة التي أنطقته بي؟؟) فجوابي دائماً أمام أمثالها ولنفسي، إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله، أيتها الوريقات القديمة التي أكاد أشتم منها ذلك العبير الذي وصفه، ولا شك سطرك هناك وشطب وبدل هناك، والرفاق نيام، بعيداً عنه حتى لا يقلقوا الشاعرية.

قلت مرتجلاً وأنا في قمة الجبل ١٦ ربيع الأنور ١٣٤٤ :

في جانب الحمراء طود شامخ — متمنطق متعمم بسحاب
يممت قمته الرفيعة راجلاً — وسجدت للخلاق في محراب
ومع الأثير بعثت منه تحيتي — لجميع من في الأرض من أحبابي
ومع الشعاع رفعت صاعدة إلى — عرش الإلـه مطالبي ومثابي
أرجو من المولى قبول جميعها — وشمول كل أقاربي وصحابي

آمين

●

وقلت :

أصفى المياه شربت أعلى قمة — فوق السحاب إلى السماء قريبه
فيها الرياحين الذكية أعبقت — ومناظر الاشجار فيها غريبه[1]

(١) وفي ورقة ثانية يقول (ومناظر للعلعلان غريبة) كما جعل بدل (منقح) مطهر في البيت التالي.

فيها الهواء منقح وطيورها فوق الغصون لدى الصباح عجيبه

•

وقلت :

قف ها هنا وانظرنْ نزوى وقلعتهـــا
ومسقط قابلاً جعلان والجارا

وانظر صحاروحيّ البحر ملتفتاً إلى البريمي تجد في حصنها نارا
واقبل بوجهك للعينين متجهاً نحو الحجاز وحي الغرب والدارا
هنا سليمان أحيا الليل مبتهـلاً وها هنا أوقد الباروني النارا
يتلو الكتاب يناجي الله منفرداً والليل داجٍ وكان الدمع مدرارا

١٦ ربيع الأنور ١٣٤٤ **سليمان الباروني**

•

وتواريخ قريبة بعض الشيء من تاريخ هذه القصيدة السابقة أنقل هـــذا من كتاب الشيخ أبو اليقظان الثقة في عنايته بمنشئاتنا :

في وادي ميزاب :

كتب الينا في شأن جريدتنا (وادي ميزاب) كثيراً لم يحضر لدينا منه إلا أبيات تقريظاً له في ذي الحجة ١٣٤٥ ونصها فيما يلي :

أنت يا ناطقاً بفصل الخطاب خلّ ذكر الأبدال والأقطاب
واذكر الناهضين في كلّ قطر من كهول وسادة وشبـــاب

واجنِ وردا وإن لألأ البحر فغص في بحار وادي مزاب
تلق من جوهر السياسة عقداً لا يبـاع ويشترى بحساب

•

رسالة منه إلى الشيخ متياز ابراهيم شكراً له على أريحيته ونجدته، محل الحاجة إليها[1] :

بالأمس تلقيت كتابك الكريم بيد الاحترام ، ولا تسأل عما أدخله علي من السرور ، وقد ذكرني بكتابك القديم الذي أجبتك عنه إذ ذاك وأنا في مرض شديد بارك الله لـــك ولاخوانك الأفاضل ، وللاطمئنان على وصول كتابكم قدمت اليكم هذا ، وأنا أقول مرتجلاً :

ملأتم فراغاً كاد يملأ بالدين وأبعدتم بؤساً يشاهد بالعين
إذا ما عددت المنقذين من الأذى فثالثهم في العد أنتم بلا مين
فلله أنتم كثّر الله خـــيركم وزادكم عزاً وبعداً عن الدّين

•

في أثناء زيارته لميزاب سنة ١٩٠٧ بينما كنا معه في مأدبة في محـــل بعض أصدقائه[1] إذ قرأ بعض الطلبة على مسامع الحضور قصيدة للشيخ عمر التندميرتي

(١) يقول أبو القاسم : جفاء كغراب ويشير بذلك إلى ما ناله من ظلم الحلفاء وحيفهم وما أقاموه حوله من العراقيل والرقابة الشديدة شأنهم مع كل حر صادق من المسلمين .

وقد نعى فيها على الأتاي وقال في شأنه :

حشيشة يُسْمونها بالأتا　　قد عمت البدو وأهل القرار

فقال صاحب المأدبة مخاطباً الأستاذ الباروني ، والأتاي حاضراً بين أيدينا: حلّلوا لنا ما بين أيدينا وإلا فامتثلوا لكلام الشيخ . فقـــال الأستاذ الباروني مرتجلاً على بحره ورويه :

لكن حلال شربهـــا طيب　　وفي بني يسجن فاشرب جهار[1]

واظب عليها في الليالي وكن　　للعلم جماعـاً تكن ذا اقتدار

فالعلم نور والأتا زيته　　فاشرب وطالع كي تكون منار

●

وبمناسبة ذكر الأتاي ، الشاي ، في اللهجة المغربية أو على الأقل في ميزاب الجزائر ، اذكر ان والدي رحمه الله تحدث إلينا مراراً فيه كيف انه اتبع أول الأمر طبيعة والده وشيخه الشيخ محمد بن يوسف طفيش في عدم شرب الشاي إلى أن أصيب بشبه من الإرهاق أثناء طلبه للعلم،فأشير عليه بشربه خفيفاً للاستعانة به في أوقات المذاكرة ، خصوصاً في الليل . فلما استشار والده زوده بمعنى مـا جاء في أبياته هذه . وكذلك شيخه لم يغضب بعد هذه الأبيات ولا شك سمع بها وباقتداء أصحابه بما قاله فيها ، ولكنه رغم ما مر به من أوصاب الحياة لم يستعمل أي مخفف سواه والقهوة .

---

(١) هذه النبذ والأبيات ومنها جوابه للشيخ متياز من أبي اليقظان ، إذ كان يبثهم شكواه التي يضن بها علينا نحن أولاده ، نظراً لظروفنا الصحية قبل كل شيء .

في أوائل ربيع الأول سنة ١٣٤٤ هـ وصل والدي إلى نزوى عاصمة الامامة واستقبله عظمة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي ورجاله وجيشه وحضر رؤساء ووفود القبائل من أنحاء الامامة ، فانبعث سروره كما كان يقول لنـــا – قبل انتكاس الأمور – وتنسم نسمات الحرية التامة ، فتجددت آماله لأمته في ذلك الركن الناجي – رغم ما به من تخلف – من قيود المحالفات والوعود الاستعمارية فحمد الله .

وفي أول جمعة من شهر ربيع الأنور سنة ١٣٤٤ هـ حضر الصلاة الجامعة مع الإمام في جامع نزوى وقد غص بنخبة من إخوانه من علمـــاء ورؤساء الحكم ووفود الشعب العماني العربي المسلم. وبعد الصلاة ألقى الباروني خطاباً هاماً شاملاً لكثير من النقط البناءة ثم ختمه بالقصيدة الآتية ، أنقلها من ورقة بخطه – بقلم الرصاص بعد مقارنتها بنسخها المشهورة في كتاب أبو اليقظان وغـــيره مما عندي. وهذه هي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر هلل الخطبـــاء　　وعلا الهتاف وهاجت الشعراء

واهتز أهل المشرقين ففاخرا　　ونما الشعور وطـارت الأنباء

وبدت لعصر الراشدين دلائل　　إذ لاح من جبـل الشراة سناء

فاضاء واسطة البلاد وأشرقت بعُمان شمس إمامة سمحاء

وعلا إمام المسلمين محمد عرشاً تطاطأ دونه الجوزاء

ذاك المعظَّم قطب دائرة الهدى من أخلصت للوائه العظماء

فاشاد للدين القويم منارة والأمنَ مد رواقه الرؤساء

وحكت مآثره الجليلة من مضى فالتف حول مقامه العلماء

فاهنأ بذلك يا ابن عبد الله ولْـ يَهْنا بنوك ، الشعب والأمراء

وليمرح الوطن المقدس رافلاً في حلة استقلاله الحمراء

هذا هو النصر المبين بعينه أعطيته فانقادت العلياء

فانهض وشمر فالعوائق جمة ولذا الزمان سياسة خرقاء

تذر العقول الراجحات بحيرة وترى الذكي كآلة صماء

أسرع لإسعاد البلاد فإنها إن دُبرت لك جنة فيحاء

أحيِ العلوم وربّ ناشئة على ما يقتضيه العصر والإنماء

فلكل عصر قادة وسياسة ينجو بها إذ عمت الظلماء

جدد مدارسها وصن أنهارها ان الحياة العلم ثم الماء

عمر مساجدها وحافظ وقفها فبها يصان العلم والعلماء

واستخرجنّ كنوزها من سهلها وجبالها ان الكنوز غناء

واضرب على أيدي الجناة مؤمناً طرق البلاد ففي الهناء علاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الله اكبر هلّلَ الخُطباءُ وعلا الهُتافُ وهاجتِ الشعراءُ

واهتزّ اهلُ المشرقين تفاخراً ونما السّعودُ ولاحتِ الانباءُ

وتبدّتْ لعصرِ الراشدين علائمٌ دلّ الإله اذ لاح من جبل السّراة سَناءُ

فاضاءَ واسطةَ البلادِ واشرقت بعُمانَ شمسُ إمامةٍ سمحاءُ

وعلا امامُ المسلمين محمدٌ عرشاً تطاطأ دونه الجوزاءُ

ذاكَ المعظّم قطبُ دائرةِ الهدى من اخلصت للوائه العظماءُ

فاشادَ للدّينِ القويمِ منارةً والأمنَ مدّ رِواقه الرُّؤساءُ

وحكتْ مآثرُهُ الجليلةُ من مضى فالتفّ حول مقامه العلماءُ

فاهنأْ بذلك يا ابنَ عبدِالله ولْـ يَهنأْ بنوكَ الشّعبُ والامراءُ

وَلْيَمرحِ الوطنُ المقدّسُ رافلاً في حلةِ استقلاله الحمراءُ

هذا هو النصرُ المبينُ بعينه أعطيتَه فانقادت العَلْياءُ

فانهضْ وشمّرْ فالعوائقُ جمّةٌ ولِذا الزمانِ سياسةٌ خرقاءُ

تَذَرُ العقولَ الراجحاتِ بحَيْرةٍ وترى الذكيَّ كآلةٍ صمّاءُ

واسْرِعْ لإسعادِ البلادِ فانها ان دُبّرتْ لك جنّةٌ فيحاءُ

احيِ العلومَ وربَّ ناشئةٍ على ما يقتضيه العصرُ والانماءُ

فلكلّ عصرٍ قادةٌ وسياسةٌ ينجو بها اذ عمّت الظّلماءُ

خل القضا لرجاله واعكف على ... تنظيم جند فالنظـــام دواء

اني أرى حول الإمام عرمرماً ... شاكي السلاح أنوفه شماء

يرنو إلى طلب العلا متوقداً ... أرواحه للمكرمات فداء

لو نُظمت آساده لارتجّ من ... زأراتها أرض وماد سماء

وأرى الحصون على الجبال يزينها ... كالتاج تلك الراية البيضاء[1]

تهتز ان قذفت صواعقَها الربى ... وتضيق من دخانها الأرجاء

لكن بها من عهد كسرى عدة ... ما في مدافعها الطوال شفاء[2]

فاستبدلنّ عتيقها بجديدها ... ان الجديد جهنم حمراء

وامحُ التداعي بالقبائل انـه ... سهم العداء ومحنة سوداء

واجمع قلوباً بالخلاف تمزقت ... حتى يضم شتاتهن لواء

ولشبل فيصل[3] ولّ طرفك عاقداً ... معه الخناصر فالشقاق شقاء

دع ما مضى واعمل لعصر مقبل ... فلآل فيصل نية حسناء

(١) إشارة إلى راية الامامة بعمان فإنها بيضاء خلاف راية سلطنـــة مسقط فإنها حمراء .

(٢) إشارة إلى عهد استيلاء الفرس على بعض الجهات العمانيـة ، وأخيراً أجلاهم العرب عنها . وطبعاً كان ذلك الاسترداد يوم كانوا كلمة واحدة وقيادة واحدة، الوحدة المقدسة التي كادت تتحقق لولا كيد الاستعمار ودأبه على التمزيق حتى الآن .

(٣) السلطان تيمور بن فيصل ، وكان رأي والدي فيه بعد معاشرته عن كثب والاطلاع على حقيقة أمور البلاد غير رأي الكثيرين فيه .

جدد مدارسها وصُن انهارها ... انّ الحياةَ العلمُ ثم الماءُ

عمر مساجدها وحافظ وقفها ... فبها يصان العلم والعلماءُ

واستخرجنّ كنوزها من سهلها ... وحبالها انّ الكنوزَ غِنَاءُ

واضرب على ايدي الجناة مؤمناً ... ظرّق البلاد ففي الهناء عُلاءُ

خل القضا لرجاله واعكف على ... تنظيم جندٍ فالنظام دواءُ

اني أرى حول الامام عرمرماً ... شاكي السلاح أنوفه شماءُ

يرنو الى طلب العلا متوقداً ... أرواحه للمكرمات فداءُ

لو نظمتْ آساده لارتجّ من ... زأراتها ارضٌ وماد سماءُ

وأرى الحصون على الجبال يزينها ... كالتاج تلك الرايةُ البيضاءُ

تهتزّ ان قذفتْ صواعقَها الربى ... وتضيقُ فرجاتها الارجاءُ

لكنْ بها من عهد كسرى عدة ... ما في مدافعها الطوال شِفاءُ

فاستبدلنّ عتيقها بجديدها ... ان الجديد جهنم حمراءُ

وامحُ التداعيَ بالقبائل انه ... سَهْمُ العداءِ ومحنةٌ سوداءُ

واجمعْ قلوبا بالخلاف تمزقت ... حتى يَضمّ شتاتهنّ لِواءُ

ولِشِبلِ فيصلٍ ولّ طرفكَ عاقدا ... معه الخناصرُ فالشقاقُ شقاءُ

دَعْ ما مضى واعملْ لعصرٍ مقبل ... فلآل فيصلٍ نيّةٌ حسناءُ

وامدد الى نجدٍ يديكَ مصافحا ... صمصامَها بل نارَها الزرقاءُ

واعطف الى سبط الرسول حميدِ من ... ذادت بطلعة بدره ضحاءُ

وامدد إلى نجدٍ يديك مصافحاً صمصامها بل نارها الزرقاء
واعطف إلى سبط الرسول حميد مَنْ
ضاءت بطلعة بدره صنعاء
واجنح إلى فحل العسير أميرها من لم يزل في منعة قعساء
ثم أقبلوا لابن الحسين بمكـة نعم المليك الجد والآباء
وهنالك اتحِدوا ولا تتفرقوا وتعاهدوا ولتشهدنّ حراء
ودعوا وساوس من يفرق واذكروا
مجـد الجدود ليسعد الأبناء
وضعوا الحدود بصورة معقولة ترضي الإلـه فيطرب العقلاء
ولْيُغْنَ كلٌّ بعد ذا ببلاده حتى تعود كروضة غنـــاء
بتجارة وزراعة وصناعـة وعساكر ومدارس علياء
إذ ذاك يرجع للجزيرة عزها ولها جميع المسلمين فداء
أما التطاحن والعدا بمراصد فعلى الجميع مذلة وبلاء
وعليهم الوزر العظيم وعارُه وعليهم تتسلطن الأعـداء
هذي نصيحة مخلص في دينه ما شابها مدح ولا إطراء
إني امرؤ تركَ المديح لأهله مذ انشبت أظفارها الهيجاء
فاعذر ففي نصحي مديح كامل وعليك يا قطب الشراة ثناء
أوليتني ما لم أكن أهلاً له والفضل منك سعادة ورضاء
دُم يا إمام المسلمين مؤيداً منصور جندٍ حولك الكبراء
ما ابن الباروني ساح في أقطارها وعليه من دول الطغاة عداء
ثم الصـــلاة على النبي وآله وصحابه فهمُ هدى وسناء

واجنح إلى فحل العسير أميرها من لم يزل في منعة قعساء
ثم اقبلوا لابن الحسين بمكة نعم المليك الجد والآباء
وهنالك اتحدوا ولا تتفرقوا وتعاهدوا ولتشهدن حراء
ودعوا وساوس من يفرق واذكروا مجد الجدود ليسعد الأبناء
وضعوا الحدود بصورة معقولة ترضي الاله فيطرب العقلاء
وليغنَ كلٌّ بعد ذا ببلاده حتى تعود كروضة غناء
بتجارة وزراعة وصناعة وعساكر ومدارس علياء
إذ ذاك يرجع للجزيرة عزها ولها جميع المسلمين فداء
أما التطاحن والعدا بمراصد فعلى الجميع مذلة وبلاء
وعليهم الوزر العظيم وعاره وعليهم تتسلطن الاعداء
هذي نصيحة مخلص في دينه ما شابها مدح ولا إطراء
إني امرؤ ترك المديح لاهله مذ انشبت اظفارها الهيجاء
فاعذر ففي نصحي مديح كامل وعليك يا قطب الشراة ثناء
أوليتني ما لم اكن اهلاً له والفضل منك سعادة ورضاء
دم يا امام المسلمين مؤيدا منصور جندٍ حولك الكبراء
ما ابن الباروني ساح في اقطارها وعليه من دول الطغاة عداء

في سنة ١٣٤٦ هـ كان مستقراً في عمان الداخلية، كما كان يعبّر، نافياً التجزئة الطارئة مع الاستعمار وسعيه الحثيث لتمزيق كل ركن من أركان الأمة العربيـة الإسلامية، يعمل بجد في كل الميادين ومرافق البلاد – أمر الإمام محمد بن عبد الله الخليلي توليته الحكومة، الوزارة، لينظمها على ما يقرب من المفهوم العصري، وتعاهدوا على التعاون الصادق للنهوض بالبلاد. وقـد صفا الجو بين الداخل والساحل عقب اجتماع الإمام والسلطان تيمور المعروف (باجتماع السيب) وهي بلدة تقع عند الحدود بين الطرفين. وكان الباروني وهو الساعي له والمنظم لكل ما يلزمه، يحمد الله على النجـاح في تلك الخطوة لأنها أمنية كل عماني، ولأنها، إذا حافظوا عليها، تكون الخير الكلي لجمع الكلمة وصد مطامع الأعداء. نعم في وقت كانت رسائله المستمرة لنا – طبعاً بعد علم ما فيها بواسطة أعوان الاستعمار – اشتد أمر الوحشة بل الأسر المقنـع على عمي الشيخ يحيى الباروني وتوفي هناك. ولما بلغه النبأ المحزن رثاه بهذه القصيدة الطويلة [1]:

«..أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» – (قرآن كريم).

يحيى أخي أين أنت اليوم مستتر ... ياخير عون إذا ما أحدق الخطر

يا مخزن السر يا رب الوفاء ويا ... فخر الرجال ويا من وجهه قمر

(١) يقول الشيخ أبو اليقظان (حياة سليمان باشا الباروني) ص ١٤٢ نقلاً عن نسخة منها للشيخ أبي اسحاق طفيش من قلم الناظم الباشا.

نعاك لي اليومَ كل الكاتبين ولم ... أجد سوى الصبر فيما شاءه القدر

بالطبع نحزن، لكن هل لنا أمل ... في عودة منك؟ كلا ما لذا أثر

إنا حزنّا وطال الصمت وانزعجت ... منا النفوس ولكن هل شفى الضجر

هيهات هيهات لا عَودٌ ولا صلة ... من بعد موتٍ ولا نعت ولا خبر

إلى القيامة حيث الحشر يجمعنا ... نرجو اللقاء وذنب الكل مغتفر

. . .

ما الحزن يحيى لموتٍ كلنا عبر ... للموت جئنا فلا تبقي ولا تذر

وإنما لمقرٍ كنت فيه مضى ... في ضيق عيش وقهر الخصم إذ قدروا

هذا الذي طرد النوم اللذيذ ولم ... نهدا ولم ندرِ نام القوم أم سهروا

لم يُغنِ للدول الكبرى تزلفنـا ... حتى جرى فيك ما قد خطّه القدر

. . .

لهفي عليك عزيز النفس قد نضبت ... منك الحياة وغُطي وجهك النضر

ودّعت أهلك والأوطان وانقطعت ... منك العلائق منهم وانتهى العمر

رُفعت فوق رؤوس كنت ترفعها ... على سرير إلى روض بها حفروا

واروك وانصرفوا داعين واتعظوا ... بذاك، قد أدركوا أن لا بقا ودروا

. . .

لنا «زوارة» مذ كنا وقد نشأت ... إخواننا الأصفيا ما شابهم كدر

فلست يحيى غريباً في البلاد بلى أنت الأصيل إذا ما دُقق النظر
فحيثما كنت مدفوناً بلادك لا تستثقلنَّ رمالاً ما بهـا مدر
آهٍ أبا زكريا الحر قد قطع الـ آمالَ نعيك قطعاً واستوى الذعر
يبني المؤمّل والأقدار ضاحكة والغِر يبسط والآجال تختصر
كم فكرة في الدياجي كنت أنظمها في سلك مستقبل الآمال أفتكر
أضحت سراباً وخاب الظن وانعكست
بالنعي كم من قضايا جلها سفر

. . .

ما أنت يحيى الذي إن مات قيل فتى
قـد غاب لم يبقَ في الدنيا له أثر
بل أنت يحيى الذي خضتَ الخضم على
عفريتك الأسود الفتاك إذ زخروا[1]
تغوص طوراً وطوراً فوق موجته
تطـارد المنشئاتِ الشم تنتظر
شاهدت منظر من أغرقتَ مركبهم
فـأصبحوا مـا لهم ماوى ولا صُوَر

---

(١) يشير إلى ركوبه الغواصة من استانبول إلى ليبيا ـ أعني من مرفئها من أوروبا ومصادفتهم للخطر خمسة عشر يوماً .

أضحَوا طعـام سباع البحر في ظُلَم
والمركب الضخم أمسى حظَّه الشرر
جازفت بالنفس يحيى غير مكترث
قطعت بحراً ونار الحرب تستعر
وجُبت براً مثيراً في طرابلس
وعدت تحمل أخبار الأُلى نصروا
وعدت أيضاً ولم تقبل لهـا بدلاً
وقلت ذا وطني يُفدى فذا الوطر[1]

. . .

بل أنت يحيى الذي للحرب كنت على جوادك الأدهم الكرار تنحدر
حكمت في الجبـل الغربي آونـة فكان من راحتيك العدل ينفجر
أمّنت فيه سبيل السالكين وقد أثنى عليك الفتى والشيخ والخفر

. . .

إن يجهـلوك فإني لا أصدّقهم إذ أنت عند الخضم الضيغم الخطر
أو يكتموك فإني لا أعاتبهم ولا أرد جواباً إن هم سخروا
علماً ودينـاً وآداباً منقحـة جمعت معها مزاحاً ما به ضرر

---

(١) وعند تحقق أمر تجديد الجهاد وعيّن والدي والياً وقائـداً أراد منه البقاء معنا فأبى بل غضب حتى وافق له أبي .

محـــافظ لفروض الله مجتنب أهل الهوى واثق بالله مصطبر

كرعت في الأزهر المعمور موردنا وتونس وبني ميزاب يا خضر

لا تعرف الغشّ أصلاً لم تقل كذباً ولم تنم ولم تسع وإن عثروا

ولست تعرف خوفاً إن دهت نوبٌ وإن تكن عصبياً حين تحتقر

لم تحمل المنَّ من أي الرجال وإذ أمحلتَ صُمتَ وقال الأهل ندثر

تجود إن وجدت كفاك، منقبض إذا استقلت، كما إذ كنت تحتضر

صبرت إذ لم تجد فكاً لأسرك من أبناء رومة يحيى حينما مكروا

سدوا الدروب فقلت المكث أوفق لي

وراقبوا فاختفت من عندك الزبر

أبرزت كل جهاد في طرابلس ولم تلنْ قط يا يحيي وإن ظفروا

لم ترضَ ذلاً ولم تمدد يداً أبـــداً لحسن في استلاب العقل مقتدر

. . .

لا بدعَ إنك شبل الأسد من قدم أجدادك الشم كم آووا وكم نصروا

إن كان جدك يحيى لم يكن علماً فالبدر عيسي[1] ابنُه في القطر مشتهر

أبوك بحر الندى والعـــلم ليس له

في الغرب مِثْل إذا أهل التقى اختُبروا

---

(١) الشيخ عيسى هو عمهم الكبير الذي ربي والدهم وشجعه على العـلم طويلاً حتى توفي فرجع الشيخ عبد الله من الأزهر .

أما أبو زكريا الحبر من عُقدت له الإمارة من أجـدادك الغرر

فكان خير أمير في الجبـــال له صيتٌ وعدل وعـلم كله درر

. . .

أما الهزبر أبو يحيى الذي نطقت بجوده البُكم وانقـادت له الزمر

وكررتْ ذكره البيضا صحائفه وعدله كتب الاخبار والسير

فهو الإمام الحكيم الضيغم المرتضى أمارة حفها الإفلاس والخطر

فذاد عنهـــا وكان النصر رائده في نائبات لها الأكبـاد تنفطر

يعطي فيغني ويكسو لا يرد يداً إلا وفي كفّها الدينـار ينتثر

أما الأمير الغزير العلم كوكبهم أبو الربيع سليمان الذي شكروا

فحدثنْ عنه كالبحر الخضم ولا تحصِ خصالاً له في الكتْب قد عثروا

وسل إذا شئتَ عن موسى الإمام أبي هارون جد الجميع المجتبى عمر

فهو الذي حاز بالإجماع مرتبـة من قبل ألفٍ من الأعوام تعتبر

فطوق الدهر عقداً من عدالته وأصبح الجبـل الغربي يفتخر

وسل وسل إن تشا عن غيرهم لترى في وصفهم كل تمجيد إذا ذُكروا

فابن البارونيّ يحيى أنت لا عجب إذا حوت مدحك الأسفار والزُبر

. . .

أرثيك يحيى ولا أبكي فلستُ بمن يُسيل دمعاً إذا ما عضه القدر

لا دمع عنديَ يحيى أنت تعرفني
في كل نائبـــة فالجفن يعتـــذر

أرثيك ما دمتُ حيـــاً بالقريض ولا
أنساك من صدقـــات حين أقتـــدر

أمـــا بنوك فأبنـــاء لنـا ولهم
منـــا الأعز وإن عزّوا إذا كبروا

(نزيهة) [1] النفس في عز، زعيمة ، بـــل
، عزيزة ، هي ، والمعصوم ، مدّخر

. . .

يحيي تخلفتَ حيث الشمس مغربـــة
كيما تغيب كما غـــاب الألى قهروا

أما أنا اليوم حيث الشمس مشرقـــة
ولي شروق طويـــل اليسر معتكر

ولى غروب ككل المشرقين بـــلى
لكنه بعـــد أن يسترقب الظفَـــر

---

(١) نزيهة بنته البكر عاشت بعد أبويهـا وتزوجت ثم توفيت عند وضعهـا بنتاً لم تعش هي الأخرى ، فكانت وفاة نزيهة حوالى سنة ١٩٤٦م. أما المعصوم فابن له توفي هو الآخر بعد أبويه بمدة تقارب السنةوهم في رعاية عمنا الشيخ إذ ذاك وهو قاض بمركز نالوت إذ ذاك و رحم الله الجميع .

يا غربـــةً لي أراها بعـد فقدك يـا
يحيى ستشعـــل شيئاً صار ينتشر

كنتَ الذي مـــا مللتُ الدهر صحبته
ولا علمت له ذنبـــاً فيُغتفـر

كنتَ الطليعـة لي طول الجهاد وقـد
أصبحت قبلي من الأموات ما النظر ؟

. . .

في ذمة الله سِرْ روحاً مجردة
من كل بالٍ فلا لحم ولا شعر

دعها مكفنة في القبر هامـــدة
إلى المعاد عليهـا الحزن ينهمر

وطرْ إلى ملكوت الله مغتبطـاً
حيث السعادة لا بؤس ولا ضجر

ولا جهـــاد ولا داء ومخمصة
كلا ولا الحلفا والشر والغير [1]

---

(١) هنا أذكر قول والدي رحمه الله وهو يذكر إقدامه في ميادين الشرف خصوصاً ما أصابه من جو الغواصة ، حيث مرض كثيراً وانسلخ جلده خصوصاً عند الصدر والأكتاف والذراعين ، إذ كان الأطباء يخافون من احتراق دمه ، بل إنه كان شبه محترق ، إذ كان في الأصل قوياً أبيض كثير الحمرة ، فرآه أحد زملاء الجهاد وهو ملتف بغطـاء خفيف فوق اللفائف لا يستطيع الاضطجاع فهتف به قائلاً : « ابشر يا أخي بما سيكتب لك من الجزاء العظيم عند الله ، إنك قبلت كل هذا مختاراً في سبيل الحق ، في سبيل الله والوطن ، بل في سبيـل الأمه الإسلامية » ولكنه شفي دون أن يبقى لذلك أثر ما والحمد لله .

واسرح مع الأوليا الأجداد قبلك مع
رُسل الإله وأرواح الألى صبروا
ولا تهمنَّك الدنيـــا فنحن بهـــا
حتى نوافيَكم إذ ينتهـــي العمر

. . .

رثيتُ يحيى أخي بالنظـــم مختصراً
تلك المزايا التي لم يدرِهـــا البشر
فلا ألام إذا جـــاءت مجـــاوزةً
حـــد المنـــاسب أقلامي فبي كدر

سمائل ـ عُمان ـ ١ جمادى الثانية ١٣٤٦ سليمان الباروني

هذه رسالة منه إلى ابن عمه ورفيق صباه الشيخ سعيد الباروني وهو بعمان أما نحن فكنا لم نسافر بعد إليه، وكانت سطوة ايطاليا في أوجها على الزعماء وكل شخصية مثقفة أو ذات مكانة اجتماعية. وكان العم الشيخ سعيد موظفاً له حسابه بين المثقفين فهو قريب خصمهم الباروني ، وزميله في طلب العلم بتونس ومصر سنوات ، وهو شاعر وأديب ، يكبر الباروني بثلاث سنوات، فإذا عني بـــه الاستعمار يصبح الصوت الذي يأتي بعكس مـــا يأتي به الباروني ، فهذا نادى بالجامعة الإسلامية منذ شبابه فليجعلوا من ابن عمه الوقور الصوتَ المضاد لما يقول فالمناسبات لا تعدم في هذه الحياة — هذا الذي رأيته أنا رغم الشباب ووالدي يصب غضبه على الذين أخفوا الرسالة عن الشيخ سعيد . وكان جواب العتاب على الذين شاركوا في إخفاء الرسالة أيام تفكير ايطاليا في تجنيس الليبيين رسمياً أو ما إليه ونحن بعيدون ، وهذه هي الرسالة والأبيات :

بسم الله

أخي العزيز الشيخ سعيد الباروني قاضي جبل يفرن سلمه الله .

السلام عليك أيها الأخ العزيز، أما بعد فإني (وأنا في الأقطار النائية) كثيراً ما أباهي بأدبك وأفاخر ببلاغـــة نظمك وأتلذذ بقراءة بعض إنشائك بدون انتقاد ، إلا أن منظومتك التي نشرتها جريدة العدل الطرابلسية في تاريخ ٢٨

ذي القعدة ١٣٤٨ التي مدحت بها الجنرال غارسياني قائد الجيوش الايطالية في طرابلس وبالغت في الوصف حتى جعلت ذكره معبوداً للبربر اضطرتني إلى أن أكتب إليك الأبيات الآتية نصيحة وتذكيراً عملاً بقوله تعالى « وذكر » الآية وقوله ﷺ الدين النصيحة. وهذا بعد أن أجهدت فكري لألتمس لك عذراً أو أجد لتعبيرك تأويلاً أو مماثلاً في كلام من يقتدى بهم من رجال الإسلام فلم أجد مع الأسف أمامي إلا الآية الشريفة باستتابتك وهي قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ وليس هذا مما يخفى عليك أو مما يجوز فيه استعمال المجاز أو الاستعارة فأرجو أن يحل هذا لديك محل القبول وأن تعلن في الجريدة بأنها من زلة قلمك لا من اعتقادك، وأن تضع في مكان كلمة (يعبد وأعبد) ما تراه مناسباً لمرادك من الكلمات الجائزة وأن تعلن توبتك من هذه الهفوة القلمية. وان ربك لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى. وإليك الأبيات :

رفقاً بدينك يا سعيد فإنما ... عمر الفتى لحظات طرف تنفد

امدح وقل ما شئت لكن لا تقل ... (لا زال ذكرك في البرابر يعبد)

إن العبادة للمهيمن وحده ... ربِّ الخلائق من إليه تصمُد

في آل عمران الدليل فلا تحد ... عن منهجٍ من حاد عنه يطرد

ان البرابر طالما نشروا الهدى ... ولعز دين الله ملكاً شيدوا

خصوا العبادة للإله فكم لهم ... من زاهد بطلٍ يصول ويسجد

آل البروني بينهم رفعوا اللوا ... دهراً أناروا الطرق فيه وأرشدوا

ولأنت من آل البَروني فاتبع ... آثارهم فيها العلا والسؤدَد

سل عن أبي يحيى الإمام وشبله ... وأبي الربيع ومن حواه المرقد

أجدادنا الأُسد العدول تجدْ لهم ... في الدين والدنيا سجلاً يشهد

تب واستعذ بالله من قلم إذا ... وجد المجال غوى فساء المورد

جدِّد يقينك بالإله ونمِّقَنْ ... ما شئت في مدح الذي قد تحمد

لا ينكر المعروف إلا ناقص ... والفضل من أربابه لا يجحد

وخذ النصيحة من أخ لك نازح ... بعُمان ينتظر اللقاء وينشد

سليمان الباروني

٨ محرم ١٣٤٩ في المدرسة البارونية بعمان مسقط

بسم الله الرحمن الرحيم

(تهنئة [1] لجنـــاب ابراهيم بك ابن سعادة سليمان باشا الباروني بالمولود الجديد) .

زكريا في نظام الأصفياء طاب فرعاً في فريق السعداء
حبذا استهلاله من كوكب في علو وابتهـــاج ووضاء
وادعُه فيه أبا يحيى تجد خير مولود تباهي في اعتلاء
بمحيًا قـــد تجلى فكسا
وضْعُه العلياء من حسن الكساء
في ذرى مجد أثيل قد نشا من سراة في الكمال والعلاء
سيّما الجدّ فناهيك بـــه يا له من بحر عـلم وذكاء

---

(١) كانت هذه القصيدة وقت جمعت الديوان ضائعة مني ، وأخيراً وجدتها فإني أضمها للديوان كتحية للإخاء الليبي الصادق رغم كل ضغط من أعـداء الإنسانية .

فليُهنّا الجد وليسعد بـه في احتفاظ وأمان وهناء
يا برونياً بـه نلت المنى وبه تزداد في نيل المنـاء
مذ تباهى فعليه أرّخوا زكريا في انتظام الأصفياء

–	–	–	–	–	–
٧٤٠	٤١٨	١٩٥	٢٣٨	١٤٨٢	٢١٤

في سنة ١٣٥٣ هجرية – سنة ١٩٣٤ ميلادية

وصلت إلى بغداد في (بيت أم كاظم – الأعظميـــة) طي رسالة الشيخ أبي الربيع الباروني وهي للشيخ الشاعر (سعيد المسعودي) الطرابلسي .

وهذه أبيات قد ترجم فيها عن بعض مشاعره عندما كان في بغداد أنقلها كما هي ، مع صورة بعض أصولها بخطه .

بسم الله الرحمن الرحيم

نضحي على هـــذا العرين ليغدوَ منصوراً و يمحو الأباطيلا
نشيد ملكاً مثل ما شيّد الأُلى نراهم جدوداً صيروا الشرق إكليلا
« « جمّلوا الغرب تجميلا
« « ذللوا الأرض تذليلا
« « أتقنوا العلم تحليلا
« « مثّلوا العدل تمثيلا
ننظّم من نشء العراق جحافلاً وفوق عباب البحر نبني الأساطيلا
ونشحن جوف اليمّ من كل غائص مبيد كعفريت ابن داود و تمتهيلا[1]
ونملأ جو الرافـــدين كواسراً تسابق عند الزحف طيراً أبابيلا

---

(١) مكذا كتبت بخطه .

بسم الله الرحمن الرحيم

نضحي على هذا العرين

ليغدوَ منصوراً ويمحو الاباطيلا

نشيد ملكا مثل ما شيّد الأُلى

نراهم جدودا صيروا الشرق اكليلا

ننظم من نشئ العراق جحافلا

وفوق عباب البحر نبني الاساطيلا

ونشحن جوف اليم من كل غائص

مبيد كعفريت ابن داود

ونملأ جو الرافدين كواسرا

تسابق عند الزحف طيرا ابابيلا

تفيض ضادق الفيالق عدة

وتنشأ بعزم لا يهاب العراقيلا

فصافح ذا القطر العماني أسوده

تعانق اشبال ابن فهم الهياليلا

تفيض صناديق الفيالق عـــدة وتبرأ بعزم لا يهاب العراقيلا

...

نصافح في القطر العماني أسوده نعانق أشبال ابن فهم، البهاليلا

نؤسس حلفاً لا يُحَـــل وثاقه وننبذ رأي المرجفين التمائيـــلا

ونجمع شملاً شتَّتَتْه عوامـــل

جسام يحار العقل في الوصف تفصيلا

ليسطع بدر العرب في برج سعده

كما كان يحمي دينهم والأناجيلا

على عهـــد هرون الرشيد وشبله

وعهد الغزاة الراشدين كما قيلا

بهمة فخر الملك غـازي بن فيصل

سليل رسولٍ جـــاء بالحق تنزيلا

٢٣ شوال ١٣٥٢

سليمان الباروني

•

نؤلف حلفا لا يحل وثاقه

وننبذ راي المرجفين التماثيلا

ونجمع شملا شتّته عوامل

جسام يحار العقل في الوصف تفصيلا

ليسطع بدر العرب في برج سعده

كما كان يحمي دينهم والاناجيلا

على عهد هارون الرشيد وشبله

وعهد الغزاة الراشدين كما قيلا

بهمة فخر الملك غازي بن فيصل

سليل رسول جاء بالحق تنزيلا

٢٣ شوال ١٣٥٢

سليمان الباروني

وفي ورقة صغيرة بل في نسختين صغيرتين يقول في وقتِ ملٍّ بل مللنا جميعاً من الترحال وأخذ منا التعب مآخذه :

رميتُ عصى الترحال بعد مشقة
بدار السلام، قِبلة العرب، بغداد
فنِلنا بها عزاً وزالت همومنا
بصحبة أقيال البطولة أمجاد
بها الملك الصمصام غازي بن فيصل
سليل الحسين السبط أفخر أجداد

٢ شوال ١٣٥٢ – بغداد

•

أمشي رويداً بلا فخر ولا مرح
ولا أبالي إذا ما قيل : مشّاءُ
ما في الرياضة عيب والمذلةُ في
مد الأكفّ احتياجاً إنه الداء

•

رميتُ عصى الرحال بعد مشقة
بدار السلام قبلة العرب بغداد فنلنا بها عزاً وزال الهموم
بصحبة أقيال البطولة امجاد
بها الملك الصمام غازي بن فيصل سليل الحسين
السبط افخر اجداد شوال ١٣٥٢
٢ بغداد

امشي رويدا بلا فخر ولا مرح
ولا ابالي اذا ما قيل مشاء
ما في الرياضة عيب والمذلة في
مد الاكف احتياجا انه الداء
محمد سعيد الكوني

وفي ورقة بنيّة صغيرة هي الأخرى كتب مع الشطب والتصحيح :

١٠ رمضان صبيحة الخميس ١٣٥٢

ليكتب على الصورة

تراني نحيفـــاً ولكنّني بفضل إلـهي صحيح المزاج
على أن للسن تأثـــيره وحمّى عمان وسم العلاج
وكيف وستّون عاماً عدت على الرأس والشيب يلمع تاج
ولكنّ في النفس آمالها تجاوز تسعين دون اعوجاج
وفي الأمل الفوز ان لم يُشَبْ بيأس يؤدي إلى الارتجاج
هو اليأس يُذهب رشد الفتى ويغرس في النَفَس الانزعاج
فحاذره واحذر ذويه ففي مجالسة الآئسين اختـلاج

•

ثم في ورقة صفراء صغيرة أخرى بدون تاريخ، ولكنه كتب ملاحظته التي تؤكد لنا انها من أقواله في عمان :

إذا بدا حد هذا الصارم الذكَر
فقل أعوذ برب الناس والبشر
الصارم الأخضر العضب الذي ظهرت
للناس أسراره في سالف العصر



الباروني وفي حجره حفيده المرحوم (طارق ابراهيم الباروني) في الأشهر الأولى من عمره إذ ولد حوالي ١٩٣٥ بغداد — العراق وهو أعمق فرحة خاصة خالجت أعماق المهاجر سليمان الباروني

هذان البيتان في سيف الإمام ويقال انه سيف قيد الأرض .

•

وفي هذه الورقات الثلاث الصغيرة أيضاً يقول مع الشطب والتصحيح دون أن يجدها أوفى للحقيقة أو يجد من الراحة والاستقرار ما يحقق أمنيته في ترتيب ما جمع طوال السنين القاسية والأحداث تتكالب على تضييعها :

خدم السعد شعب الروم والمسلمينا
قال إذ بايع النصر رشاد الأمينا
أرخ البيعـــة الغراء للمؤمنين
بمحمد إنا فتحنا لك فتحاً مبينا
٩٤ ٥٢ ٥٣٩ ٥٠ ٤٨٩ ١٠٣

•

ظنت الطليان طيشاً وطنَ العز يهـــان
كذبت واللهِ إنا فتية نشهى الطعان
نركب الجرد اعتزازا وطنية أوطـان[1]

•

(١) محيت كتابة هذا البيت في الأصل .

اذا بدا حد هذا الصارم الذكر
فقل اعوذ برب الناس والبشر
الصارم الاخضر العضب الذى
ظهرت للناس اسراره في سالف
العصر هذان البيتان
في سيف الامام ويقال انه
سيف قيد الارض
خدم السعد شعب الروم والمسلمينا
قال اذ بايع النصر رشاد الامينا
ارخ البيعة الغراء للمومنين
بمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا
٩٤ ٥٢ ٥٣٩ ٥٠ ٤٨٩ ١٠٣

واقعة الهاني

١٥ تشرين اول ٢٧

قد هجمنا هجمة الأُسد على استحكام هاني

فانجلَوا عن سيّدي المصري وعن جل السوان

فلنشـــابرْ فلواء النصر لا يعطى لوان

غضب الله علينا وهجانا الملوان

ان خضعنا أو رضينا سلطة للطليان

ان في الدنان

العنان [١]

الهاني

•

بسم الله الرحمن الرحيم

ليلة . . . شعبان

هذا « الغظنفر » زاحف بأسوده نحو العـــدو لينقذوا أوطانهم

متمنطقين على الجياد سيوفهم مسلولة والطائرات (القاذفات) تظلّهم

(١) فراغ لم يضع له الشاعر الكلمات .

لا ينثنون وان تطاول حربهم حتى تزين دورهـــا أعلامهم

هذي مدينتكم تناديكم وقد [١] . . . . . [٢]

سووا الصفوف ونظموا . . . . . .

تيهي طرابلسُ بهم واستبشري فالنصر أقبل واستبان لقـــاءهم

والرعب حيث . . . . . .

. . . . . شعارهم [٣]

. . . . . اشبـالهم

. . . . . أفعـالهم

. . . . . أقوالهم

. . . . . آمـالهم

(١) ما أمكن ترتيبه من الكلمات المشطوبة في هذين البيتين .

(٢) كلمات مبعثرة تحتاج لنظم .

(٣) محل النقط الكلمات التي لم يضعها بل رتب أواخر الأبيات كما كان يرى رحمه الله، ما أشد تحسره على ضياع أمانيه فيما جمع، فما أشقى من يحرم نعمة الاستقرار؟

وهذه قصيدة أخرى قالها رحمه الله وهو في مدينة صحار بعمان ، أثناء اشتغاله بتجديد مسجدها الكبير ، وكانت وظيفته الأصلية مستشاراً لحكومة مسقط ولكنه ما كان يهدأ رغم حالته الصحية ، إذ كان يشكو الضغط ويعيش على (رجيم) وعلاج ، وكان سكرتيره محفوظ حمدان آل الكتاتيب ، لا يتغيب سواء طلبه للمسير - حسب تعبير عمان - في الفجر أم في المساء ، وعمه الشيخ حمود ووالده الشيخ حمدان يشيعانه بمثل هذه العبارات : (انه الثالث لنا ، وأنت الابن الذي يجب أن يحقق معه هذه المكرمة ألا وهي بناء المسجد) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخميس ٣ رمضان ١٣٥٧ صحار

صمناك يا رمضان طوعاً في صحار ... نحيي الليالي عاملين مدى النهار
نحيي مآثر غُرّبٌ أعلامها ... أيدي الدهور الدائرات على مدار
لا مثل ما صمناك في باريسهم ... كرهاً وفي أحشائنا المطعون نار
صمناك والآذان يطرب سمعنا ... بصُحارَ ذات المجد إذ فيها المنار
لا نسمع الناقوس مثل سماعنا ... دقاته يدعو إلى كفرٍ جهار

إذ قرر الحلفاء أن أبقى كما ... يبقى الأسير فلا أزور ولا أزار [1]
بوليس باريسٍ يشدّد أمره ... وأخوه في مرسيليا يدعو لثار
حتى علا عرش الحجاز حسيننا ... وبدا بمسقط سيدٌ نادى جهار
فتحا لنا طرق الحجاز ومسقط ... رغماً عن التشديد في ذاك الحصار
ثم انثنى من بعد ذلك فيصل ... فغدت لنا بغداد ماوى ذا يسار
خضنا معامع حربهم في أرضنا ... إذ أعلنوا حرباً علينا فاستطار
زأرت أسودٌ في طرابلسٍ وفي ... أرجاء برقة فاستخف بها المطار
فتأججت نيرانها وغدا حما ... ر بحارهم كالجمل مذهولاً فطار
لكنّ حكم الله نفذ أمره ... فتبددت أقطابنا وطغى الدمار
وغدا الأسود مشتتين بتونسٍ ... وبمصر والشام العزيز وفي صحار
يرجون من رب البرية عودة ... تمحو صدى الوطن المقدس بالشفار
وتعيد للأبناء مجداً طالما ... غنى به الآباء في عهد انتصار [2]

. .

---

(١) كتب آخر البيت هكذا (فلا أنيس ولا مرار) ثم غيره من فوق (فلا أزور ولا أزار) .

(٢) لعله يشير إلى أهازيج المجاهدين التي كان يهتز عند ذكرها ومنها ما لا يود ضياعه .

صمنا وقد صامت سيوف طالما ... جذّت رقاب عدوّنا في كل غار[1]

صمنا وقلنا كل صوم بعده ... فطرٌ وعيد وابتهاج وافتخار

صمنا وصلّينا وفارقنا الهنا ... والعز والاخوان في خير الديار

غبنا وهيأنا النفوس لعودة ... منصورة والآن في دور انتظار

فلتعلن الحرب العمومية التي ... تذر الديار الغاصبات مثار نار

فنهبّ من كل الجهات فغائص ... في البحر منا صِنوه في الجو طار

إذ ذاك يعرفنا الذي من قبلُ لا ... يدري ومن قد بات ينهق كالحمار

ونعيد للوطن المقـــدس عزه ... هذا وإلا لا هناء ولا قرار

رب العباد أجبْ دعاء جحافل ... قد شُتتوا بجهادهم في كل دار

وارحم طرابلساً وبرقتها فقد ... أضناهما ذل وقهر وافتقار

لا عِرض معصوم ولا دين الهدى ... بمقدس بل ولا قبس ينـــار

قتلوا النفوس بظلمهم واستعبدوا ... أبناءها وتملكوا حتى القفار

هذي الحقائق لا التي ذاعت على ... أقلام من نالوا بها لوماً وعار

قاله سليمان الباروني بصحار ٢-٣ رمضان ١٣٥٧[2]

---

(١) لعلها معركة الغيران .

(٢) قد يكون تكرار التواريخ والتواقيع غير مناسب ، ولكن احتراماً لإخلاصه وصدقه في كل شيء رأيت نقل كتاباته كما هي وعلى أن أقول ، يسرني أن يتحمل ذلك القارىء وهو مشكور ، فقد كان رحمه الله يجمع ليكتب ويؤلف عن علم وتجربة وتحقيق ومقارنة فلم يقدر له ذلك ، فهذا شيء خير من لا شيء .

هذه القصيدة قيلت للمغفور له ابن أخي (طارق ابراهيم البـاروني) بعد وفاة والدي بحوالي سنتين عندما اشتاق هذا الصديق لأطفال الشيخ الباروني ، فتوسل لأحد الأخوة الأقربين والذين أقاموا في نفوسهم مقام أبينا ، أن يحصل له على موعد وهو يزور مسقط إذ كان من عمان الداخليـة ، فرحبت والدتي ، فجاءوا به إليهم وعند انصرافه كتب له المرحوم إهداء – وكان في الرابـع ابتدائي على ما أذكر – على كتاب والدي ،فسر برؤيتهم وابتهج بالكتاب ،وبعد عودته أرسل بهذه القصيدة. رحم الله طارقاً وأحسن عزاء عز الدين. والرحبي لا يزال موجوداً على ما سمعت ممن يسألون الحجاج والمسافرين عن بقيـة الشيخ الباروني وعن الطفلين اللذين ودعاهما ليعودا إليهم يوماً ما .

ثنـــاء وشكر

أهدي إليك فتى الكرام ثنائي يا غرة في جبهة العليـــاء
وأقوم بين العالمـــين مؤدياً شكراً لتلك المنة البيضاء
يا شبل آساد العرين ودرة المجد الأثيـــل وصفوة العظماء
يا طارقاً طرق المحامد وهو في سن الفطام بهمة البسلاء
خففت ما يجد الفؤاد من الأسى لمصـــاب سيف الملة السمحاء



الباروني في بغداد سنة ١٩٣٩م مع حفيديه طارق وعز الدين

ذكرتني شيماً حواها جدك العالي فطال بهـــا على النظراء
لله فطنتك السديدة إذ غدت تهدي إلى قلبي الكئيب منائي
هل كنت تعلم ما تكن حشاشتي من لوعة وصداقة ووفـــاء
فأتيتني بدواء دائي مهدياً سفراً به شفت الصفائح دائي
فرأيت سيرة من أجل معاده بعد الفنـــاء بقدرة الإنشاء
ورأيت ليث الشرق فوق حصانه يرمي العداة بغـارة شعواء
ورأيت خيل الله تضبح شزباً ترمي العدى بالسوءة الشواء
وكأنما إيطاليا بقر رأت أسداً تساورها لدى الهيجاء
لله هاتيك الوقائع انها أجرت دماءهم على الدأمـاء
شكراً لكتاب أعادوها لنـا بعد الذهاب جديدة الأنباء
فانهض وعز الدين واستبقا إلى كسب المعارف نهضة النجباء
فالعلم سيف لا يفل وسلم يعلى بـه لمجرة العليـاء

انتهت القصيدة التي أخذتها من مجلة (الفتح) إذ الشاعر الأديب يراسلهـا منذ أن كان بينهم البارودي وفتح للمجلات والصحف العربية الأبواب مشجعاً الشباب المثقف على الاشتراك فيها، أما النسخة الأصلية التي هي بخطه وتوقيعه فلم أعثر عليها في الوقت الحاضر .

بسمه تعـــالى

« هذا الديوان »

في هذا الديوان أصغينا إلى خلجات وأماني ثم إلى حب الجهاد في سبيل الحق ثم إلى حنين مهاجر يتحسر على بعد الواقع عن المأمول في أمته التي وطن النفس على خدمتها بما أوتي وفي كل ميدان شريف ، فهو المجاهد الليبي ، العربي، المسلم، الإنسان، الذي ولد في جادو سنة ١٨٧٣م وسافر إلى طلب العلم في تونس الخضراء سنة ١٣٠٥ هـ ، وأسس أول مطبعة لشاب ليبي في القاهرة بعد نيله الشهادات العلمية المشرفة من الأزهر الشريف ، وانكب على النشر والتأليف في مطبعته « الازهار » ينجز الكثير، وأبرز صحيفته (الأسد الإسلامي) ليدفع بالركب المتمهل إذ ذاك تحت حكم الظروف العامة، وسعد بإحياء بعض التراث الإسلامي، وخط لنفسه خط الدفاع عن الدين والوطن والعلم الشريف ، فلم يهضمه زمانه ، والتفت له مع أهله المتنكرين لكل بادرة من الانتباه والذين لا يخلو منهم زمان ومكان ، فانهالت عليه الأتعاب ، بـل والمآسي ، دون أن توقفه عندما كانوا يريدون منه الوقوف ، فكافح صابراً، متوكلاً على الله، مؤمناً بالقيم مضحياً بكل شيء حتى بصحته .

نعم هنا ما يعطينا فكرة عن مشاعر (٦٦) سنة ، هنا قوله من أيام الأمل والشباب، إلى أيام أحس فيها بدنو النهاية بتدهور الصحة التي هي كل شيء :

(١) نصول إذا حان الدفاع ولا نرى جزاء من المولى سوى جنة الخلد

(٢) وداعاً يا ديار العز حتى أعود إليك في أهنا نهار

(٣) ليتها الغربة تُقضَى بعجل ويصير العام شهراً أو أقل

(٤) أرسلت من فوق الأثير تحيتي لجميع من في الأرض من أحبابي

فكان هذا الإنسان الأمين ، الصادق والحمد لله هو (سليمان بن عبد الله الباروني) له تحيات تليق بأمثاله من المؤمنين ولوطنه الغالي الرفعة ولأمته الكريمة المجد إن شاء الله .

ابنته وبنت الوطن

زعيمة البارونية

فهرس

	ص
الاهداء	٩
الجزء الأول	
مقدمة الطبعة الثانية	١١
« « الأولى	١٣
في افتتاح السنة الأولى لمدرسة « يفرن » ١٣٢٢ هـ	١٤
في افتتاح السنة الثانية لمدرسة « يفرن » ١٣٢٣ هـ	١٨
البراءة بعد الوشاية	٢٧
من داخل القلعة إلى (حافظ باشا)	٢٨
إلى (حافظ باشا) أيضاً	٣١
ما بالها تلك الظباء تراها ؟	٣٣
استعطاف السلطان :	
الله اكبر ساد الحق وانتصرا	٣٦
إن الرباط وظيفة الشجعان	٤٠
يا مسجداً زان البلاد بحسنه	٤١

	ص
بمناسبة الجلوس العباسي ١٣٢٤هـ	٤٢
« الجلوس الشاهاني	٤٣
فهذا يوم إظهار الخبايا	٤٤
يا رئيس الخطابة ازددت قدراً	٤٥
يوم الاحتفال بمدرسة (مصطفى باشا كامل)	٤٦
إلى الشاعر المجيد مصطفى لطفي المنفلوطي	٤٧
بعد ختم قراءة شرح الكافي	٤٨
سلام يا إمام المسلمينا	٤٩
هذا ابن يوسف حجة الاسلام	٥٠
للغرب أنت وللمشارق مرجع	٥١
جواب على تقريظ (١٣٢٥هـ)	٥٣
وصف طرابلس وأهلها	٥٦
نصول إذا حان الدفاع	٥٧

	ص
وصف الآستانة والجيش العثماني والاسطول الجديد	٦١
إلى جريدة المعارف التونسية	٦٥
أهدى الحبيب إلى الحبيب رسالة	٦٦
رثاء العلامة الشيخ محمد بن الشيخ القراري	٦٧
رثاء الولي الزاهد الشيخ قاسم القراري	٧٠
رثاء فقيد الشهامة والوطنية مصطفى كامل ١٣٢٦ هـ	٧٣
في أربعين مصطفى كامل	٧٤
رثاء للاسلام	٧٦
وداع طرابلس الغرب ١٣٢٤ هـ	٧٧
ليتها الغربة تُقضى بعجل	٧٩
ألفاظكم حكم أضحت مقدسة	٨٠
هذه آثارنا فادع لنا	٨٢
طرائف شعرية حول لقاء الأصدقاء في (بنداو)	٨٣
هنيئاً بالوفاء وبالبنينا	٩١
بشرى السلامة أشرقت	٩٢
طلبوا العلم فنالوا	٩٤
يوم عيد النحر بالجزائر	٩٥
بين الجبال وبين حوض البحر	٩٧
في تلمسان	٩٩
في قصر أبي سعادة	٩٩
في مدينة (الجلفة)	٩٩

	ص
في مدينة (البخاري)	١٠٠
في مدينة شلف (أورليانفيل)	١٠٠
بين أطلال مدينة تيهرت	١٠١
تهنئة صديق من ميزاب	١٠٣
مع الشيخ عاشور شاعر قطر الجزائر	١٠٤
خطاب لمتجاسر بالطعن	١٠٥
في تلميذ بليد	١٠٥
محاورة شعرية في غارداية	١٠٥
في تحليل شرب (الشأي)	١٠٨
اعتذار من بعض أفاضل مدينة يسقن	١٠٨
بقصر ملكة العليا أقمنا	١١١
في زيارة مدينة (العطف)	١١١
في زيارة قاضي غارداية	١١٢
تحية الشيخ عطية بالجلفة	١١٤
في مدينة المدية	١١٤
في وصف الجزائر	١١٥
في حق العلامة الجزائري الشيخ عبد القادر	١١٥
في وصف مدينة (قالمة) وما حولها	١١٦
مفاكهة واعتذار	١١٧
اعتراف بالتقصير	١١٨
وداع	١١٩
عتاب	١١٩
نقش في رخامة المدرسة	١٢٠

	ص
في افتتاح تحرير (السياحة) المغربية	١٢١
على منبري أهدي التحية للجميع	١٢٢
عتاب للأصدقاء (١٣١٣هـ)	١٢٤
في الحمّام المعدني المشهور بتونس	١٢٥
في العمامة والطربوش	١٢٦
من الأصدقاء	
رسالة شعرية من الأصدقاء	١٢٩
اعتذار من نظم الشيخ عريبي في رمضان	١٣١
الشيخ سليمان الجادوي يهنىء الباروني بالبراءة	١٣٣
من الشيخ سليمان الجادوي أيضاً	١٣٥
من الشيخ عاشور للباروني	١٣٨
من (محمد بك) النائب الطرابلسي	١٤٠
من الشيخ محمد الشريف المغربي	١٤١
« « محمود فوزي الشامي	١٤٢
« « سعيد الشماخي	١٤٣
تهاني الدستور	١٤٧
التقاريظ	١٥٨
الجزء الثاني	١٧٣
المقدمة	١٧٥
مناجاة وضراعة لله في أيام السجن	١٧٧
في مديح النبي ﷺ توسلاً به	١٨٠

	ص
في عيد الجلوس أيضاً	١٨٦
تمجيد العلم والأخلاق الحسنة	١٩٠
رسالة وقصائد ثلاث من الشيخ أحمد الشنقيطي	١٩٥
ذكرى الحرب العامة ١٩١٤	٢٠٢
عش أيها الشعر الجليل	٢٠٥
نلتُ الصدارة	٢٠٧
وصف الكائن والشمعدان :	
رسالة أدبية في ميدان القتال	٢٠٩
إلى الشبيبة المعتصمة بالله	٢١٣
إلى الطلبة النجباء	٢١٥
رسالة شعرية إلى أخيه أبي اليقظان	٢١٦
لهم الطنافس ولي السيوف	٢١٨
وداع شهر رمضان بمرسيليا ١٣٤٢	٢٢٠
في الخلافة	٢٢٢
هويتك يا مصر	٢٢٦
في رثاء أستاذه الشيخ محمد النخلي	٢٢٨
وداع أهل عُمان	٢٣٠
تيمور يا تاج المنوك	٢٣١
تخميس (مثل الجاهل في إعجابه)	٢٣٣
على قمة الجبل الأخضر بعُمان	٢٣٦
في وادي ميزاب	٢٣٨
شكر على أريحية	٢٣٩
الله أكبر هلل الخطباء	٢٤١

	ص
في رثاء أخيه الشيخ يحيى الباروني	٢٤٨
رفقاً بدينك يا سعيد	٢٥٨
تهنئة لجناب ابراهيم بك بالمولود الجديد	٢٦٠
بعض أبيات من شعره عندما كان في بغداد	٢٦٢
واقعة الهاني	٢٧٢
صيام رمضان في مدينة (صحار) بعُمان	٢٧٤
ثناء وشكر من صديق	٢٧٨
هذا الديوان – لزعيمة الباروني	٢٨١